سلسلة صفحات من الثورة السورية

الأهوال والفظائع
في سجون النصيريين

أمـــلاه : مأمون الحسين - أبو المعتصم الحموي
صياغة وترتيب : أبـــي الوليـــد الحنفـــي

شعبان 1442 هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه أولي التقوى والدين.. وبعد؛

فهذا جزء جديد يتحدث عن معاناة الأسرى وما يلقونه من الشدائد والمحن وألوان العذاب في الأقبية المظلمة كظلام قلوب القائمين عليها من أعداء الله النصيريين والرافضة وأشياعهم، وقد قص ذلك عليّ الأخ أبو المعتصم الحموي في عدد من الجلسات فسطرته، وبعد أن فرغت أرسلت إليه الكتاب ليصحح ما فيه من سهو أو غلط ويصوب ما اقتضته الطبيعة البشرية من النقص، وكل ما في هذا الكتاب سوى هذه المقدمة فهو من كلام الأخ أبي المعتصم، وليس لي فيه سوى الصياغة وإعادة السبك؛ ليكون مناسبا للكتابة.

هذا وإن كان الغرض الأساسي هو ما ذكرت، إلا أن هذا الجزء قد احتوى على معلومات تاريخية للثورة السورية في غاية الأهمية، كما أن فيه كثيرا من الفوائد والعبر والأحداث المهمة.

واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، وأن يتقبل من أخي أبي المعتصم ما لقيه من الشدائد والعذاب، وأن يفرج عن إخواننا الأسرى وأخواتنا الطاهرات العفيفات، وأن يقر أعيننا بنصر المسلمين في الشام خاصة وفي سائر بلاد المسلمين عامة، والحمد لله رب العالمين.

نص شهادة أبي المعتصم الحموي:

المولد والنشأة:

اسمي مأمون الحسين، ولدت في قرية في ريف حماة الغربي، وقريتي صغيرة جميع سكانها أقرباء، وهم نسل والد جدي.
نشأت في أسرة ملتزمة جدا، تستنكر المعاصي جدا، وهي سمة عامة في القرية، حتى التدخين كان يعتبر عندنا من الكبائر.

والدي فلاح يعمل في الأرض، ويتابع أمور المسجد في قريتنا، وقد رزقه الله بخمسة شباب، فعهد إلي من بينهم بتلبية حاجيات المسجد من البناء والإصلاح والتنظيف، إضافة إلى دراستي وعملي في الأرض.

الدراسة:

درست الابتدائية في مدرسة قريتي، ثم الإعدادية في قرية الشيحة، وأما الثانوية فكانت في مدرسة الوحدة العربية في مدينة محردة، وغالب سكان سهل الغاب يدرسون في تلك المدرسة، وكنت في الثانوية أحب اعتزال الطلاب وأكره مخالطتهم؛ لما أرى من انشغال كثير منهم بتوافه الأمور وسفاسفها، فهذا يمضي وقته في الثرثرة والضحك، وآخر كل همه في محادثة الفتيات ولفت أنظارهن فقد كانت مدرستنا مختلطة، وكان رفاقي يسخرون مني ويقولون: هذا يعيش في الأيام السالفة.

وأما بالنسبة لي فكنت أعامل الطالبات كأخوات لي ولا آلو في نصحهن، مما جعلني ألقى سخرية من الشباب، إلا أن جهودي توجت بالنجاح عندما ارتدت إحدى الفتيات النقاب وصبرت على استهزاء الطلبة بها لمدة شهرين، وعلى إثر ذلك ارتدت ست من الفتيات النقاب أيضا، فكان ذلك أعظم نصر لي حينها وأكبر إنجاز رزقني الله إياه.

ومن الأشخاص الذين تأثرت في الثانوية وانتفعت جدا بهم مدرسة اللغة العربية، فقد كانت امرأة محتشمة جدا، لا يظهر منها سوى عينيها، إضافة إلى أدب جم

وخلق رفيع، وكنت أنظر لها كوالدي وأعتبرها قدوة لي، وذات مرة طلبت منا كتابة موضوع أدبي عن شيء أثّر فينا، فبعض الطلاب كتب عن مدينة زارها، وآخر عن قلعة أثرية، وأما أنا فكتبت عن الكعبة وتخيلت أن حوارا دار بيني وبينها، وسألتها عن هذا الثوب الأسود الذي ترتديه فأخبرتني أنه ثوب كساها إياه العرب من سالف الزمان، ولا تزال محافظة عليه، فقلت لها: عجبا أنت بناء من حجارة وترتدين ثيابا تسترك، ثم تكلمت عن التبرج وتهتك بعض الطالبات وسفورهن، فتأثرت المعلمة ونزلت من عينها دمعة، فكان ذلك حافزا لي، وزاد من حماستي أن المعلمة قدمت لي هدية وأعطتني العلامة التامة.

وقد نلت شهادة الفرع الأدبي في عام 2011م، وكان مجموعي يؤهلني لدراسة الجغرافيا في جامعة السويداء، غير أن والدي رفض سفري إلى هناك كون أخواي مسافرين؛ أحدهما يدرس في حلب والثاني في دير الزور، فدخلت كلية الرياضة في حماة، ودرست فيها لمدة شهر واحد.

بداية الجهاد:

نشأت على حب الجهاد والرغبة فيه؛ فمنذ أن كان الجهاد قائما في العراق كنت أتمنى اللحاق بركب الجهاد، وقد حاولت ذلك إلا أنه لم يتيسر لي ذلك، كانت عاطفتي جياشة تجاه الأسرى والأسيرات، وكنت أبغض الظلم بغضا شديدا بكل أشكاله، ومما عزز ذلك في صدري أن والدي كان يقسو عليّ جدا أكثر مما يقسو على إخوتي، فأسهم ذلك في صياغة شخصيتي على كره الجور والظلم، كان والدي يحاسبني أشد الحساب على أصغر الأمور حتى لو كان ذلك الأمر هو زيارة أولاد عمي الذين يقع منزلهم بالقرب من منزلنا، فهذه كهذه لا بد أن يسبقها إذن منه، والحصول على الإذن من أعسر الأمور وأشقها.

كان يشدد علينا في الصلاة في المسجد فبمجرد أن يسلم الإمام من صلاة الفجر يلتفت والدي يمنة ويسرة ليتأكد أن جميع أولاده حضور لم يتخلف منهم أحد، وحدث ذات مرة أن استيقظت جنبا فاغتسلت ثم صليت ونمت، ولم أشعر إلا بأبي ينهال علي

ضربا وأنا نائم، حتى إنه شج رأسي دون أن يستفهم عن سبب غيابي عن المسجد، ولما أخبرته، قال: أنت تستحق ما جرى لك، فقد كان يجب عليك أن تستيقظ باكرا حتى إذا كنت جنبا تمكنت من رفع الجنابة وإدراك الصلاة في المسجد.

ومما أسهم في حبي للجهاد والمجاهدين أن عددا من أقربائي استشهدوا أيام ثورة الإخوان عام 1980م، كما أن خالي فار من سوريا منذ ذلك الحين، وهو دكتور في الشريعة في جامعة أم القرى، كما أني كنت أشتري الأشرطة الجهادية التي تصور عمليات المجاهدين في الشيشان والعراق، ومع حب والدي للجهاد إلا أنه كان ينهاني أشد النهي عن شراء هذه الأشرطة، وربما ضربني على ذلك وحلق لي شعري.

كنت أكبر ويكبر في صدري حلم الجهاد، حتى كان عام 2011م وبدأ الشعب المظلوم بالثورة على ظالميه وجلاديه، وكان لدي صديق مقرب مني جدا يدعى جهاد الحسين وهو حافظ للقرآن على أربع قراءات وطالب في الجامعة في السنة الرابعة في كلية الآداب لغة عربية، وأبوه عقيد في الجيش، وكان الآباء يوصون أولادهم بمرافقتنا ومصاحبتنا لما نحن عليه من الدين والخلق والأدب، فكنت وجهاد أول الملتحقين بركب الثورة والجهاد، فصار الآباء يحذرون أبناءهم من المشي والحديث معنا، فكان في ذلك تضييق شديد علينا، ولقد أتت علينا ستة أشهر ونحن ننام في البراري كي لا نعرض أهلينا للخطر، فالحواجز منتشرة بكثرة، والنظام لا دين ولا خلق عنده. كنا في البداية نشارك في المظاهرات السلمية، فكنا نعد اللافتات ومكبرات الصوت ونجهزها، مما جعل والدي يضيق عليّ، فكنت أهرب إلى مدينة حماة للمشاركة في مظاهراتها، ولا تزال السلمية سيدة الموقف، وكنا ننتظر أن ينشق الجيش ويسقط النظام، خاصة أن المظاهرات أعدادها غفيرة جدا، وتصريحات الدول الكبرى كانت شديدة، وهذا التواكل وتعليق القلوب بغير الله أدى إلى مجزرة جمعة أطفال الحرية، والتي قتل فيها ما يزيد على سبعمائة متظاهر، وكانت بتاريخ 13 / 5 / 2011 ولم يكن أحد يتوقع أن يتم فتح النيران على المتظاهرين.

كانت ساحة العاصي ممتلئة بشكل كامل، فضلا عن الناس الموجودين على

الأسطحة، وفي حماة يوجد أمن عسكري، وعميد الفرع يدعى محمد مفلح، وأمن سياسي فيه مقدم يدعى واثق كنجو، وهما المسؤولان عن المجزرة، فقد نزلنا إلى ساحة العاصي ومعنا أغصان الزيتون والورد في أيدينا، فوجدنا عددا من المضادات عيار 14,5 وعيار 23مم، فظننا أنها للإرهاب ليس أكثر، ولم يدر في خلد أحد منا أنه يمكن للمجرمين أن يحصدوا بها أرواح المتظاهرين.

أخذتنا الدهشة عندما بدأت تلك المضادات تنفث نيرانها موقعة سبعمائة شهيد وأكثر من ألفي جريح، وبقينا بعد هذه المجزرة قرابة أسبوع ونحن نزف الشهداء، وفي الطريق إلى المقبرة يوجد جسر عليه أربعة رشاشات دوشكا مسلطات على المقبرة، فكان في كل تشييع تصعد أرواح شهداء جدد إلى السماء، مما دفعنا إلى تشييع الشهداء سرا وفي الليل، حتى إنه في إحدى المرات شعر بنا المجرمون فبقينا في المقبرة ثلاث ساعات ونحن منبطحون على بطوننا لتفادي طلقاتهم الآثمة.

أما محافظ حماة فكان من فليطة ويدعى محمد عبد العزيز، وقد كان متعاطفا مع المتظاهرين جدا، ثم انشق لاحقا، والمدة التي كان فيها محافظا لم يحدث فيها إطلاق نار على المتظاهرين بسببه، بل ربما تظاهر معنا.

بعد مجزرة أطفال الحرية رفع المحافظ كتابا إلى دمشق، فاستدعي محمد مفلح إلى هناك للمساءلة والمحاكمة -وكنا لسذاجتنا مصدقين ذلك- فمكث هناك أسبوعا ثم عاد وقد كوفئ ورُفِّع من عميد إلى لواء بقرار استثنائي، فزاد ذلك من إصرارنا على المضي في درب الحرية.

ثم أطلق سراح دفعة من سجناء صيدنايا وفيهم رجلان من حماة؛ يدعى أحدهما الحاج وائل كبيسي، والثاني أبا رماح، وهو مبتور القدم وصار الأب الروحي لنا، ومما قاله لنا لما خرج: هذا النظام لا ينفع معه الورد وأغصان الزيتون، هذا النظام لا ينفع معه إلا السلاح.

وأبو رماح هذا كان مجاهدا في أفغانستان ثم البوسنة ثم العراق، ثم ذهب ليقيم في جدة، ثم رجع إلى سوريا فقبض عليه ومكث في السجن سبع سنين، وحدثنا عما لاقى وإخوانه في صيدنايا من البلاء والعذاب، خاصة من الهالك طلعت محفوظ مدير السجن، وهذا المجرم كان مصابا بداء العظمة فهو عميد الأركان وعضو في المحكمة الميدانية ونائب رئيس فرع الشرطة العسكرية وابن خالة المعتوه بشار الأسد، فكان فرعونا بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وقد استلم إدارة سجن صيدنايا بعد الاستعصاء الشهير عام 2008م، وقد ساءت أحوال السجن بعد تسلمه كثيرا.

دناءة رجل ومروءة امرأة:

خرجنا مرة في مظاهرة في حماة، فبلغ الجواسيس الأمن، فانفض المتظاهرون، وكمنا لقوة القمع القادمة، فلما تمكنا منهم ضربنا سيارات بيكاب لهم وطلبوا مؤازرة، فأخذت القوات تتوافد، واحترنا في أمرنا، أين نختفي؟ فطرقنا بابا، ففتح لنا رجل عجوز، فقلنا له: خبئنا عندك، فقال: أنتم الثوار؟ تف عليكم، فأراد أحد الشباب قتله، فقلت له: دعه، ثم بحثنا عن بيت آخر، فطرقنا بابه فخرجت لنا امرأة في العقد الرابع من عمرها، فطلبنا منها أن تخفينا عندها، فسارعت بإدخالنا ونزعت عنا الجعب والسلاح فأخفتهم في دارها، ثم وضعت لنا طعاما لنأكل، وقالت لنا: إذا طرق الجيش الباب للتفتيش فأنتم أولادي، وأنت اسمك فلان، وأنت اسمك فلان، ومكثنا عندها حتى انصرف الجيش ثم خرجنا شاكرين.

الجهاد المسلح:

والدة جهاد امرأة عظيمة جدا، فقد باعت حليتها الذهبية وأعطتنا ثمنها لنشتري بها بندقية، ثم نتناوب عليها في ضرب الحواجز، ولم تكن لدينا حينها مخازن احتياطية لنضع فيها الطلقات، إنما كنا نضعها في الجوارب.

هاجمنا المفارز في مدينة حماة وأخذنا منها السلاح، وفر قطعان النظام من المدينة، وتحررت تقريبا قبل رمضان بعشرين يوما، وبقيت محررة كذلك إلى مطلع رمضان، فقد أدخل النظام تجار سلاح تابعين له ومعهم بندقيات حموية رديئة جدا

وبنادق صيد (بمبكشن)، فاشترينا منهم ذلك، وكان النظام يريد بذلك إقناع العالم أنه يقاتل إرهابيين ومسلحين وليس شعبا مقهورا انتفض في وجهه بعد طول معاناة مع الظلم والفساد.

طوق الجيش مدينة حماة بآلياته وعتاده، وتمكن من خداعنا عندما أرسل عددا من الدبابات بأطقمها وعددا من العناصر زعموا أنهم انشقوا عن الجيش وانضموا إلى الشعب، ففرحنا بهم جدا واستقبالهم كأحسن ما يكون الاستقبال، وكنت وأبو رماح غير مطمئنين لذلك، ثم فوجئ الشعب المسكين بالتفاف المنشقين المزعومين عليه وفتحهم ثغرة ليدخل منها النظام، وحاول النظام التقدم من جهة مشفى الحوراني فأخفق، وركب أبو رماح طبقا على غسالة ووصله بها فجعل الطبق يدور، فظن الجيش أنها سلاح خطير فلم يجرؤ على الاقتراب، وكنا نضرب بالملاعق على بكرات الحوانيت الحديدية (الدرابيات) ونسحب الملعقة بقوة وسرعة فتصدر صوتا يشبه إطلاق النار فيظن الجيش ذلك ويفتح نيرانه بغزارة، وتمكن الجيش من السيطرة على حماة بعد وقوع مئات القتلى وأضعافهم من الجرحى.

وبعد سيطرة الجيش على مدينة حماة خرجنا إلى الريف، وكثير من الشباب ألقى سلاحه خوفا من النظام، وعندنا في ريف حماة مزرعة كبيرة على رأس أرض لنا ولا يوجد فيها أحد، فأحضرت المصابين إليها وطلبت منهم عدم الخروج منها أبدا حتى لا يشعر أحد بوجودهم، ولدي أخوان أحدهما طبيب والآخر صيدلي، فقدما وأخذا بعلاج المصابين، وبقي المصابون عشرين يوما دون أن يشعر بهم أحد، ثم إن أحد أعمامي كان يحب النظام ويعمل معلقا رياضيا، ولديه معرض قد ثبت في أرجائه أجهزة تصوير (كاميرات)، انتبه إلى وجود الشباب بعد أن صورتهم أجهزته، فطلبني، فجئت إليه، فقال لي: أتريد أن تخرب بيتنا، فصددته، وقلت له: هذا ليس من شأنك، وجرت بيننا مشادة كلامية، ثم غادرته وعلمت أنه سيخبر والدي، ولم ألبث إلا قليلا حتى دعاني والدي، وقال لي الكلمة ذاتها: أتريد أن تخرب بيتنا؟ إذا كنت تريد أن تذهب فاذهب والله معك ولكن لا تدمر أهلك، فقلت: لن يجري إلا ما قدره الله، فقال: عليك تفريغ المكان من الشباب ومعك يوم واحد فقط، فبحثت

عن مكان ونقلت إليه الشباب، وكان والدي هيأ لي كل أسباب الرفاهية من دراجة نارية وسيارة وهاتف جوال، فسحب ذلك كله مني، وكان أيام المظاهرات يقول لي: هذا النظام لا تجدي المظاهرات معه نفعا لكن عندما يكون الجهاد بالسلاح اخرجوا جميعا وأنا معكم.

وكنت خاطبا فجئت إلى بيت أهل خطيبتي وكنت مصابا بيدي -فقد توفرت لنا البنادق وكنا نضرب حواجز النظام في ريف حماة- فقالت لي حماتي: جامعتك.. أهلك؟ فقلت: دين الله أغلى، ثم التفت إلى خطيبتي وقلت لها: أنا اخترت هذا الطريق وقد أقتل وقد أؤسر فإن كان لنا نصيب فسنلتقي وإلا فأسأل الله أن ييسر لك من هو خير مني، ولم تجد الفتاة غير دموعها لتجيبني بها ثم انصرفت.
وبدأ الجيش بدخول ريف حماة، فكان الاتفاق أن نخفي السلاح ونختفي، ولم يكن في القطر محرر إلا الرستن، فقررنا التوجه إلى هناك.

وعلى جسر المزاريب يوجد حاجز للنظام على مفرق طريق حلب حماة حمص، وكنا نضربه كثيرا ويعود النظام إلى تفعيله، فلما قررنا التوجه إلى الرستن ضربنا الحاجز وسلكنا طريقا زراعيا، وكانت المرة الأولى التي نسلك فيها هذا الطريق، وجميع السيارات التي معنا هي غنائم من النظام، ففوجئنا بحاجز أمامنا ظنناه للثوار، ولم يخطر ببالنا أنه للنظام، وكنا جميعا نرتدي لباسا موحدا وهو بنطال عسكري وسترة سوداء، وظن عناصر الحاجز أننا عساكر وشبيحة، فأشار إلينا فوقفنا، ونزل شاب منا يدعى علاء دقاق وهو يرتدي جعبته وسلاحه بالسيارة، فقال: مرحبا بالشباب، وهنا استراب كل واحد بالآخر، فقال عنصر الحاجز: لمن تتبع؟ واحتار علاء بأمره، ثم قال: نحن من هذه القرية وذاهبون إلى تلك، فقال له: أحضر لي البطاقات الشخصية، فجاء علاء ووجهه أصفر كالليمون، فقال لنا: هذا حاجز للجيش، فاتصلت بالأخ الذي في السيارة الأمامية عبر الجوال وقلت له: إما أن تشتبك وإما أن نفتح النار عليهم ونمضي بسرعة، واتفقنا في زمن يسير إنما هو ثوان معدودة أن نفتح النار وننطلق بأقصى سرعة ممكنة، ومن لطف الله أن الرشاش عيار 14,5 على الجسر لم يكن عليه رام وإلا لقتلنا جميعا، ففتحنا النار وقتلنا العساكر الذين أمامنا وسرنا

قرابة كيلو ونصف، وهنا كان رامي الرشاش قد صعد عليه وبدأ الرمي علينا، فنزلنا من السيارات وانبطحنا أرضا، فأصيب منا ثلاثة وبعض السيارات، واتصلنا بالشباب في الرستن فهبوا مسرعين إلينا فأسعفنا المصابين وسحبنا السيارات وانطلقنا إلى الرستن، ومضى شهر ونصف وأهلي لا يعلمون شيئا عني، وكنت قبل توجهي إلى الرستن بثلاثة أيام أتيت أبي في المسجد فقبلت يديه ورأسه وأخبرته أني أمنت سلاحا وسأذهب، فتناقشنا قليلا وانتهى الأمر بأن قال لي: لا أسمح لك ولا أرضى عنك وغضب مني، فانطلقت إلى البيت فجمعت بعض ما أحتاج إليه في حقيبة صغيرة وانطلقت مع جهاد إلى الرستن.

في الرستن:

في الرستن اتخذنا من الثانوية الشرعية مقرا لنا، وكان المسؤول عن المنشقين من الضباط والشرطة ضابط منشق يدعى الرائد عبد الرحمن الحسين وهو من الرستن، ولم أر مثله في حسن أخلاقه ولطف معشره وتواضعه، وكان غنيا جدا وقد سلّح عددا من الشباب من ماله الخاص، وقد استقبلنا الرائد بترحاب شديد، وكان المسؤول عن المجاهدين غير المنشقين شاب من أسرة الأشتر، وفي بعض هؤلاء المجاهدين بقايا جاهلية وفيهم من ليس ملتزما وفيهم أصحاب الدين والتقى، ومن النوع الأول كان معنا مجاهد يدعى أبا حلب فأبوه من حلب، وبطريقة ما تمكن من معرفة تحركات محمد مفلح، ومتى سيرجع من دمشق إلى حماة، فذهبنا ونصبنا كمينا له، فجاءت ثلاث سيارات نوع مرسيدس، فضربنا السيارة الأولى بقاذف آر بي جي فاحترقت بمن فيها، وفتحنا النار على سائر السيارات فقتل جميع من فيها، وكانت تحتوي على مدير مكتبه ومرافقته إلا أن مفلح لم يكن معهم فقد قرر البقاء في دمشق قليلا لبعض حاجاته، فلما علم بالكمين جن جنونه، فقد كان مجرما رهيبا زرع الخوف والرعب في المنطقة، وعن طريق الجواسيس علم بمنفذي الكمين، فقرر الإيقاع بهم على المدى الطويل عن طريق الخونة والجواسيس، فزرع بيننا جاسوسا يدعى حاج أحمد حسانة وهو من الحميدية في حماة وعنده مزرعة لتربية العجول ولديه حانوت لبيع لحم العجول، بقي هذا الرجل يعمل معنا ثلاثة أشهر وكان يحضر لنا الذخائر ونبيت في مزرعته ويقدم لنا ما نشاء.

الانحياز من الرستن:

كان انشقاق الرائد عبد الرحمن قد أحدث ضجة إعلامية كبيرة وضايق النظام جدا، فقام بشن حملة كبيرة ليقضي بها على المجاهدين في الرستن، فطوقها وبدأ عملية القصف.

وكان الرائد عبد الرحمن صاحب خبرة في طبخ المتفجرات، فأعد ألغاما ووضعها في طريق النظام، ومنها لغم ضخم كان عبارة عن تنكة زيت مليئة بالمواد المتفجرة، وتم تلغيم مداخل الرستن بشكل كامل، كما قمنا برفع سواتر ترابية ونظمنا نقاط الرباط.

أما الجيش فقد قطع الطريق بين حماة والرستن، وقطع الكهرباء والنت وكل مقومات الحياة عن الرستن، وبدأ التقدم، وفي اليوم الأول دمرنا له اثنتي عشرة دبابة، وكان جهاد مسؤولا عن تفجير الألغام، وقد زرع الرائد عبد الرحمن لغمين متتاليين بسلك واحد وبينهما مسافة مائة وخمسين مترا، فلما تقدمت الدبابة الأولى وصارت فوق اللغم الأول لم نتعرض لها، فلما اجتازته تبعتها دبابة أخرى فصارت كل واحدة منهما على لغم، وخلف الدبابة الثانية مئات العناصر، ثم تقدمت الأولى وصارت الثانية على اللغم الثاني والعناصر على اللغم الأول، ففجر أبو جهاد اللغمين فانفجرت الدبابة الثانية وتناثرت أشلاء العساكر في كل مكان، وخرج طاقم الدبابة الأولى فزعين يركضون لا يلوون على شيء، فأسرناهم وارتفعت معنوياتنا جدا.

وكان معنا في الرستن أسد من أسود الإسلام وهو الملازم أحمد الخلف واختصاصه قناص، وعند النظام قناص آذانا جدا، فتصدى له أحمد الخلف فقتله وقتل ثلاثة قناصين إضافة إلى أربعة وثلاثين عنصرا، ثم استشهد بطلقة قناص، وقد دفناه في حديقة الرستن قبل خروجنا منها.

وأهل الرستن فقراء جدا وكأنهم لا عهد لهم باللحم إلا أنهم كرماء جدا، وتجد الأهالي يقدمون ما لديهم للمجاهدين بسرور شديد فتشعر بلذة عظيمة لطعامهم،

ونساء الرستن بمئات الرجال، فعندما كنا محاصرين كانت تخرج المرأة فتمر من طريق النظام وتخاطر بنفسها لتحضر لنا طعاما، كنا في الرستن والجيش على زاوية مدرسة والشارع مقنوص والجيش يرمي بنيرانه، فمرت عجوز، فقلنا: أمي نحن جائعون، فمدت العجوز رجلها فتوقف إطلاق النار، ثم عبرت فانطلقت إلى بيتها فخبزت لنا وأحضرت لبنا وعادت -وأحدنا لا يجرؤ على المسير في ذلك الشارع أبدا- فقدمت الخبز واللبن لنا، وبهت لذلك، فلا أدري ما سر هذه المرأة التي أوقفت نيران الجيش بمدها لرجلها، مع أنه قُتل نساء وأطفال كثر في الرستن قنصا ورشا وقصفا.

وكنت مسؤولا عن ثلاثة شباب في الرباط، فخرجت امرأة فقالت لنا: جائعون؟ فقلنا: نعم، فمضت إلى بيتها فأعدت حساء وسلقت بعض حبات البطاطا ودعتنا لنأكل، فدخل الشباب فأكلوا، ثم دخلت فأكلت، فسألتني: أتتصل بأمك؟ فقلت: لا، الاتصالات غير متوفرة، فقالت: لدى ابنتي جهاز يلتقط تغطية من الدبابات فاتصل بأمك إن شئت، فاتصلت بها وطمأنتها عني، وكانت تبكي وهي تسمع أزيز الرصاص وهدير القصف.

وبما أن حملة الجيش كانت من أجل قتل الرائد عبد الرحمن أو القبض عليه، ونظرا لشدة الحملة وقلة أعدادنا وعتادنا -كنا مائة وخمسين مقاتلا فقط- فقد أعلنا تمويها مقتل الرائد عبد الرحمن وقررنا الانسحاب من الرستن عن طريق الوادي، وهو الطريق الأقل خطرا لكنه صخري ووعر جدا والمشي فيه غاية في الصعوبة، وأثناء ذلك أصيب شاب معنا يدعى يحيى أشتر بطلقة 14,5 في كتفه، ففتحت الطلقة طاقة فيه فحشوناها بشماخ ثم عصبنا فوقها شماخا آخر وصرنا ننقله معنا من مكان لآخر، فقال لنا: دعوني ولا تنهكوا أنفسكم بنقلي فأنا ميت لا محالة، انجوا بأنفسكم، فقلنا: إما أن ننجو جميعا أو نهلك جميعا، وتابعنا الطريق ونحن نحمله، فلقينا سبع عجائز، فقلن لنا: دعوه ونحن نتكفل به، فهناك امرأة عندنا قد ولدت حديثا سنوهم النظام أنه هي، فتركناه عندهن وتابعنا طريقنا بعد أن أحرقنا سيارتنا في الرستن حتى لا يستولي عليها الجيش، ومعنا مجاهد وزوجته وكلاهما مطلوبان للنظام فقد كانت زوجته إعلامية.

وقدم الجيش حتى دخل البيت الذي فيه يحيى أشتر، فقيل له: هاهنا امرأة ولدت حديثا، فلم يدقق في التفتيش وخرج، إلا أن جاسوسا أعلمهم بالقصة على حقيقتها، فرجع واعتقل يحيى وأخذه إلى المستوصف حيث مكث فيه يومان.

أما نحن فقد كنا في الوادي، فبلغنا الخبر، وعلمنا أنهم سينقلونه إلى مستشفى الوعر العسكري في حمص، وأعطانا مخبرنا موعد نقله ونوع السيارة التي سينقل بها، فجهزنا مجموعة من اثني عشر أخا، وكمنا لهم قبل مفرق الرستن بستمائة متر، فلما مرت السيارة هاجمناها وقتلنا كل من فيها وحررنا يحيى وأسعفناه، ثم عدنا به إلى الوادي، وكان لا بد لنا حتى نخرج من الوادي أن نمر قريبا من تحت جسر والجيش فوقه، وكان أبو رماح معنا، وكنت أحمله على ظهري مع سلاحه وسلاحي، فقال لنا: ادعوا الله أن ينزل مطرا وأن ترعد السماء وتبرق حتى لا يتمكن المنظار الحراري من رؤيتنا، ولم نكن وقتها نعلم شيئا عن المنظار الحراري، فتوجهنا إلى الله بقلوبنا ندعوه، فلم تمض نصف ساعة حتى فتحت أبواب السماء بماء منهمر، فمشينا حتى حاذينا الجيش وليس يفصل بيننا سوى مائة متر حتى جزناهم وسترنا الله عن أعينهم بمنه وكرمه مع شدة وعورة الطريق، ثم مشينا من الرستن إلى تلبيسة ومنها إلى الزعفرانة ثم إلى المجدل، كل ذلك مشيا على الأقدام ومعنا المصابون، وقد استغرق الطريق معنا تسع ساعات، وفي المجدل هيأ الله لنا ممرض قام بتغيير جروح المصابين وقدم لنا طعاما، ثم جاءت سيارة أغنام نقلتنا إلى سلمية في ريف حماة، وكان جلوسنا بين الأغنام وأكياس التبن والغنم تطؤنا بأقدامها، فلما رأى حاجز النظام سيارة غنم سمح لها بالمرور دون تفتيش، ثم وصلنا حماة فنقلتنا سيارة أخرى إلى قلعة المضيق بريف حماة، فنزلنا عند شخص يدعى الشيخ حسن فاستقبلنا بالترحيب والإكرام.

في قلعة المضيق:

كان الجيش موجودا في قلعة المضيق، ومعنا شاب يحتاج إلى عملية جراحية ضرورية، فقمنا بالتنسيق مع طبيبين واتفقنا أن نتظاهر بالهجوم على المستشفى وتطويقها، وإجبار الأطباء على إجراء العملية للمصاب، فتم ذلك ونقلت الدماء للأخ،

ولم يحرك الجيش ساكنا لجبنه، ثم ذهبنا إلى مزارع تربية الأسماك فارتحنا فيها أسبوعا، وكان قد مرت علينا عشرة أيام لم نأكل فيها من الطعام إلا أقل القليل، وفي القلعة وجدنا الوفرة في الطعام والشراب والثياب.

وكان والدي لا يرد علي ولا يكلمني، وكان هذا يضايقني جدا، فقد كنت برا به ويوميا أقبل يديه ورجليه، ولم يحدث أن أغضبته يوما، فلما وصلنا القلعة اتصلت بهاتفه ذات ليلة في الساعة الثانية عشرة في المرة الأولى والثانية ولم يرد، وفي الثالثة ردت والدتي -وهي لا تعرف كيف ترد على مكالمة جوال-، فلما سلمت عليها سألتها: لماذا لم يرد علي صاحب الهاتف؟ فقالت: أبوك نائم، فقلت لها: يا أمي علمتمونا ألا نكذب وأنت لا تعرفين كيف تفتحين الجوال، على أي حال قولي له: إني لم أفعل شيئا يغضب الله أو ينكس رأس أبي ولينس أن عنده ولدا، ثم أغلقت الجوال وأخذت الدموع تنهمر من عيني، وبعد ربع ساعة تقريبا أخذ الهاتف يرن، في البداية لم أرد، وفي المرة الثالثة رددت، فقال لي: كيف حالك يا مأمون؟ فقلت: ألك ولد يدعى مأمون؟ ألم تعلمنا نصرة المظلوم والسعي في استنقاذ الأسيرات، فأخذ يبكي، وقال: إنما شددت عليك لتخرج في الجهاد عن عقيدة وقناعة، فالجهاد طريق شاق وصعب، ثم قال لي: الله يرضى عليك وعلى الشباب الذين معك.

وطلبت أم جهاد ولدها لتراه، فذهب إلى قريتنا ووجد أبي عندهم، فقال له: اتصل بابنك، فغص وبكى ولم يفعل، غير أنه أرسل مع جهاد مليون ونصف ليرة، خمسون ألفا منها لي والباقي للشباب ومستلزمات الجهاد، فأخذنا ما يلزمنا ووضعنا الباقي في صندوق خصصناه للحوائج.

استشهاد المجموعة والوقوع في الأسر:

ثم اتصلنا بالحاج وائل، فقال: تعالوا إلى طيبة الإمام، فانطلقنا إلى قرية معركبة ومنها إلى طيبة الإمام، فاستقبلنا في منزله أخ يدعى أبو أحمد، وأعد لنا طعاما فأكلنا، ثم جلب سيارات مدنية ولباسا مدنيا وهويات مزورة للمطلوبين والعساكر المنشقين؛ لأننا سنمر بحواجز النظام وكانت وجهتنا مزرعة في أطراف حماة، غير أنا

علمنا أنها مشغولة، وطلب منا تدبير أمورنا إلى الغد، فاتصل الحاج وائل بصديقه أحمد حساني، فقال: مزرعتي جاهزة.

وكان الشباب سابقا يخفون عند أحمد حساني سلاحا وذخائر، وبات بعضهم عنده سابقا، وكانت هذه المرة الأولى التي أدخل فيها مزرعته، فوصلناها بعد العشاء فصلينا وتعشينا ثم نمنا في مستودع هناك حتى الفجر، وبعد أن صلينا الفجر جلسنا نتحدث، وأخذ بعض الشباب يمزحون، وكان قلبي يحدثني بأنه يجب أن نحرج من هنا، فقلت: دعونا نذهب، إلا أن أحمد حساني أصر على بقائنا، وحتى لا يترك لنا مجالا قام فذبح عجلا، وقال: نقسمه ونشوي لكم منه فتفطرون ثم تذهبون إن أحببتم.

تجادلت مع الشباب كثيرا لنغادر فرفضوا، وكانوا جميعا يريدون البقاء ولا مخالف إلا أنا، وقالوا: لا تحرمنا من الفطور، فقلت ممازحا: وإذا أتت قوة مداهمة، فقالوا: نفطر في الجنة.

وفي السادسة إلا ربع صباحا سمعنا صوت حركة غريبة، فتسلقت حائط المزرعة وكان عاليا جدا لأنظر، فإذا بأعداد كبيرة جدا للنظام ومعهم سيارات بيكاب ورشاشات، وكان ذلك في يوم السبت 6 / 10 / 2011م، فلما رأيت ذلك أخبرت الشباب، وقلت: وقعنا في كمين -ولم يخطر في بال واحد منا أن أحمد حساني عميل للنظام- وخروجنا من هنا مستحيل، فالجيش مطوق المزرعة ومحيط بها إحاطة السوار بالمعصم.

كنا اثني عشر مجاهدا خمسة منهم جرحى، فقمنا جميعا فلبسنا السلاح والجعب، وقال أبو رماح: جددوا البيعة لحاج وائل حتى تقتلوا وفي أعناقكم بيعة، فجددنا البيعة ونزعنا شرائح الهواتف الجوالة ورمينا الهواتف في بئر في المزرعة وطمسنا كل شيء يمكن أن يؤدي إلى معرفة هويتنا بعد القتل، وذلك حتى لا يؤذي النظام أهلنا.

ووضع أبو رماح خطة القتال، فقد كان باب المزرعة ثم يليه ساحة طولها سبعون مترا تقريبا ثم المستودع الذي نحن فيه وفيه أعمدة ضخمة يمكن أن يختبئ خلف كل عمود شخصان بسهولة، وبما أننا سنقتل لا محالة فيجب أن نقتل أكبر عدد من النظام قبل أن نلقى الله، فتوزعنا خلف الأعمدة واتفقنا ألا يطلق أحد النار إلا بعد أن يبدأ بذلك أبو رماح.

طرق النظام باب المزرعة فقام قريب لأحمد حساني ففتح الباب، فدخل عناصر الجيش كأنهم أغنام، ثم تقدموا حتى فتحوا باب المستودع الذي نحن فيه، ودخل قرابة تسعين عنصرا، وهنا فتح أبو رماح النار فتبعناه على ذلك جميعا، فسقط أرضا من الجيش قرابة خمسين عنصرا بين قتيل وجريح إضافة إلى عشرين عناصرا جرحوا جراحا خفيفا فتمكنوا من الانسحاب، وانسحب الجيش خارج المزرعة، فتقدمنا وأجهزنا على الجرحى وخرجنا فانتشرنا في المزرعة بين أشجار الزيتون، وكان جهاد الحسين قريبا مني، وبدأ الاشتباك، وفي أول ربع ساعة منه أصبت بطلقة خارقة حارقة متفجرة في كتفي الأيسر ففتحت فوهة في كتفي، فناديت بعض الشباب ومعي -شماخان- فجاء شاب فوضع شماخا على الجرح ثم ربط الثاني عليه، فقلت له: بدل لي مخزن البندقية فبدله، واستمر الاشتباك من السادسة صباحا إلى الظهر، وكان النظام يرسل عناصره خمسة خمسة فنقتلهم، وكنا نسمع عويلهم وصراخهم، وسيارات الإسعاف لا تنقطع دويها ولا تهدأ ذاهبة آتية.

كان هناك نساء وأطفال فأخليناهم من المزرعة، وخرج معهم أحمد حساني رافعا يديه فوق رأسه، وحزنا لأنه سلّم نفسه.

كان أبو رماح في الجهة المقابلة يقف خلف ياسمينة ضخمة، وكان أكثرنا بشاشة وابتساما، فكنا نستمد منه الروح المعنوية، وهو قناص لا تخطئ له رصاصة، وكان لا يرمي إلا في مقتل في القلب أو الرأس.

وبعد الظهر أصبت برصاصة أخرى في رجلي اليمنى ولا يفصل بيني وبين جهاد سوى مترين، فجاءته ست طلقات دفعة واحدة في رجليه، كما أصيب أبو رماح بطلقتين في رجليه إلا أنه استمر يقاتل، وبالمجمل فبعد الظهيرة كنا جميعا مصابين، غير أن عسكريا منشقا معنا حمله الخوف على أن قتل نفسه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقبل العصر بقليل هدأت المعركة ولم يعد الجيش يرسل أحدا، واستمر ذلك من نصف ساعة إلى ساعة، ثم رأينا ناقلات تحمل فوق ظهرها دبابات وسمعنا صوت المجنزرات وهي تنزل، ثم هدمت الجدران من أربع زوايا، وبدأ القصف بمدافع الدبابات، فهدمت البيت والمستودع.

وأصيب جهاد مجددا بطلقتين في ظهره، فقال: يا الله، وفقد وعيه، فسحبته إلي فجعل يستيقظ حينا ينظر إلي ثم يغمى عليه مجددا، ومددت بصري إلى أبي رماح فرأيت عددا كبيرا من الطلقات يخترق جسده وفقد وعيه، وهذا حال معظم الشباب نتيجة النزيف، ثم أتت رشقة أخرى من الرصاص نحوي فأصبت بطلقتين في يدي ودخلت طلقة في رأس جهاد وهو في حجري.

وقبل مغيب الشمس بنصف ساعة جاءت غيمة فأظلتنا وشعرت وقتها أن جميع الشباب ارتقت أرواحهم بلحظة واحدة وبقيت أنا فقط حيا من بينهم، ثم غبت عن الوعي ولم أشعر إلا وأنا أسحب من رجلي وأضرب مع سيل هائل من السباب والشتائم المقذعة، ففتحت عيني وإذا بعشرات العساكر فوق رأسي بعضهم يضربني بكبل وآخر بخرطوم وثالث بسيخ ورابع بغصن شجرة وخامس يحرقني بسيجارة، فضلا عن الركل بالأرجل والصفع بالأيدي، ومع كل ذلك لم أكن أحس بالألم للخدر الذي أصابني جراء نزف الدم من جراحي، ثم غبت عن الوعي ثانية ولم أستفق إلا وأنا في نقطة طبية للجيش في مدينة حماة.

في مشفى الوعر العسكري:

رفض الضابط المشرف في النقطة الطبية استقبالي فحولت بعد نصف ساعة إلى المشفى العسكري في الوعر في حمص، فأدخلتها ليلا ومعي قوة من الفرقة الثامنة عشرة من حمص وقوة من كتيبة المجنزرات في حماة بقيادة الأمن العسكري في حماة والذي يرأسه محمد مفلح، وهم من داهموا المزرعة، وكان مع القوة المرافقة لي عقيد والمسؤول عن المستشفى عميد، فرفض العميد استقبالي، فقال العقيد: يجب أن تداويه فنحن نريده، فاشتد الخصام بينهما ثم ترقى إلى الضرب بالأيدي، وتدخل العناصر في ذلك، وكنت أسمع ولا أرى لأني كنت مقيد اليدين معصوب العينين.

فنزل مدير المشفى والحرس فخلصوا بينهما، ورفع الأمر إلى محمد مفلح فقال: ضمدوه بسرعة وأعيدوه إلى حماة، فجاؤوا بملح وجعلوا ينتفون من لحمي ثم حشوا الجراح ملحا ولفوا عليه شاشا وانتهى التضميد بذلك.

وكانت أصبعي شبه مقطوعة، فحاول المضمد قطعها فلم يتمكن فخاطها، وقد لقيت من العذاب أهوالا في المشفى، فعذبت بالكهرباء وأحرقت بالسجائر وبإبريق المتة وبوضع الملح على جراحي ونتف لحمي والعبث بجراحي.

وإلى تلك اللحظة لم يتعرف النظام على هويتي ولم يعرف من أنا، ثم وضعت في غرفة، فالتقيت فيها بشاب يدعى حازم الأشتر أصيب معنا في الرستن وقتل بعدها في سجن صيدنايا.

وفي يوم الأحد أخرجوني في المستشفى ليحققوا معي، فطلبوا مني اسمي -وكنت أعلم أني مقتول لا محالة وخفت على أهلي أن يؤذوهم- فأعطيتهم اسما وهميا، فذهبوا فبحثوا وتبين لهم ألا وجود لشخص بهذا الاسم، فعادوا لتعذيبي، واستمر الأمر على ذلك يومين أعطيهم اسما وهميا فيبحثون عنه فلا يعثرون على شيء فيعودون إلى تعذيبي وهكذا.

ثم عرفوا اسمي عن طريق بعض الجواسيس من قرية الشيحة، فتركوني لمدة يوم آخر في المستشفى وضمادي لم يبدل منذ أن ضمدت به مع أنه يجب تبديله مرتين يوميا كي لا تلتهب الجروح وتتقيح، وبشكل يومي أضرب وأعذب صباحا وظهرا ومساء، وهذا حال جميع المجاهدين المصابين في المستشفى، ويكون التعذيب إما بالضرب بالكبل أو بالحرق بالسيجارة وجمرة الأركيلة وأحيانا التبول على المصاب، ولتحطيمنا نفسيا فقد كانت هناك أغان صاخبة لا تهدأ تمجد بشار وتمدحه.

إلى البالوني:

وفي يوم الخميس نادوا اسمي فحملت ووضعت على كرسي متحرك ونقلت إلى أن وقفت على شفير درج في أسفله وقفت سيارة زيل صغيرة، فدفعت من الكرسي فتدحرجت حتى سقطت في صندوق السيارة، وقد انكسر ضلعان من أضلاع صدري، وسارت بي السيارة وأنا معصوب العينين حتى وصلت إلى مكان فيه قرابة ثلاثين سجينا، فإذا هو الشرطة العسكرية للمحكمة، وبعد نصف ساعة أتت سيارة فركبنا فيها وكنا قرابة مائة شخص فنقلتنا إلى البالوني الجديد، وفي كل غرفة فيه يوجد من مائة وخمسين إلى مائتي سجين.

دخلت وكنت أرتدي سراويل قصيرة وباقي جسدي مغطى باللفافات والضمادات وقد تصبغ من كثرة الضرب، فجاء إلي مساعد من وادي الذهب في حمص فقال لي: أنت ولاك ماذا فعلت؟ فقلت: لم أفعل شيئا، فركلني بقدمه على وجهي فأخذ الدم ينبعث منه، وقال: الآن سنرى ماذا فعلت؟

فتشوا السجناء المحضرين وأخذوا منهم أماناتهم وأثناء ذلك كان الزبانية لا يكفون عن الضرب والشتائم وقد امتلأت الأرض من الدماء.

ثم أرسل المساعد إليّ عنصرين، وقالوا: انزعوا عنه اللفافات، فجاؤوا وحلوا الأربطة ونزعوا الضماد وهم يضربوني ويتعمدون تركيز الضرب على أماكن الجراح، ثم جاؤوا بملح فوضعوه على الجراح وأعادوا الضماد القذر الممتلئ قيحا وصديدا وقيحا إضافة إلى تلوثه بما على الأرض من نتن وقذر، ثم حملوني في بطانية ورموني في أحد

المهاجع، وقالوا لرئيس المهجع من السجناء: عندما يفطس هذا دق الباب، وأغمي علي فلم أشعر إلا منتصف الليل، فجاء بعض الشباب وقالوا: عينك مصابة؟ فقلت: لا، فنزعوا العصابة التي فوقها، ورئيس المهجع شاب محترم كان يعرفني ولكنه تظاهر بعدم ذلك حتى لا يجلب بلاء على نفسه.

نادى رئيس المهجع أحد الممرضين، وقال: أنا مريض، فلما جاء جعل يرجوه أن يعطيه ضمادا وحب التهاب، فأعطاه ذلك، فنزع السجناء الضماد القديم القذر ولفوني بالجديد وأطعموني وسقوني وغسلوا ما يحتاج إلى غسل من جسمي، وكان قد مر علي أسبوع وأنا معصوب العينين، ومع سوء الوضع في البولوني إلا أني وجدته أقل سوءا بكثير من المستشفى العسكري.

إلى الأمن العسكري في حماة:

وفي يوم السبت نادوا اسمي وجاءت دورية فساقتني إلى حماة، وكنت أرجو أن أنقل إلى دمشق لعلمي بما ينتظرني من العذاب الشديد في حماة.

نقلت إلى الأمن العسكري في حماة، فلما وصلت سأل الضابط رئيس الدورية: أين قبض على هذا؟ فقال: في جبرين، فلما سمع ذلك أخذ كبل الدبابة وجعل يضربني به حتى سقطت أرضا، ولم يبق لون من ألفاظ الكفر إلا تفوه به، ثم أخذ اسمي وأدخلت إلى زنزانة انفرادية فمكثت فيها ساعتين ونصف، ثم استدعوني إلى التحقيق وأخذ المحقق يسألني أسئلة عادية، وأثناء ذلك يقوم إلي فيضربني، واستمر على ذلك قرابة ساعة، وكان ذلك قبل غروب الشمس بساعة، ثم أخذني إلى مبنى القيادة حيث يقبع رئيس الفرع محمد مفلح فأدخلت عليه وهو يشرب الخمر وبقربه أركيلة، فلما رآني لم يكلمني بحرف وإنما أخذ يكفر ويشتم، وبقربه خمسة ضباط أقلهم برتبة ملازم أول، فانهالوا عليّ ضربا وتعذيبا؛ مرة ضربا بالكبل وثانية حرقا بجمرة الأركيلة وثالثة بصب الماء، كانوا يتفننون بتعذيبي، واستمروا على ذلك إلى منتصف الليل، ثم قام إلي وهو ثمل فأخذ يدعس على رأسي بالحذاء العسكري وسائر الضباط يتابعون ضربي وتعذيبي، وأخذ محمد مفلح يقول: بشار

ربكم، بشار إله، كيف تخرجون عليه، سنذبحكم كما ذبحنا آباءكم أيام الثمانينات، علما أن هذا المجرم من درعا وينتسب إلى أهل السنة.

ثم أعدت إلى الزنزانة وبقي الأمر على هذا قرابة أسبوع، أصعد بشكل يومي إلى محمد مفلح لأعذب بين يديه، ولكنه صار يقص عليّ أثناء ذلك ما جرى معنا بالتفصيل، فاحترت بداية كيف عرف هذا، ولكن زال العجب عندما رأيت مرة بطرف عيني من وراء العصابة أحمد حساني وهو جالس قرب العميد محمد مفلح فاتضح لي كل شيء وقتها وعرفت أن أحمد حساني عميل وقد وشى بنا، ولم يمكث أحمد حساني معتقلا سوى أسبوعين فقط للتمويه على الناس ليس إلا.

وقد أراني محمد مفلح مقاطع مرئية لمظاهرات شاركت فيها، ومع أني كنت ملثم إلا أنه عرفني، وقال: هذا أنت، وسبب ذلك أنه كان يخرج معنا في المظاهرات شبيحة ويقومون بتصوير المظاهرات وتزويد النظام بتلك المقاطع مع معلومات عن بعض المتظاهرين.

وتعرفت هنا على شخص يدعى عبد الله وهو ابن عم أحمد حساني، وقد جعلوه ابن دعوتي، مع أن الرجل لا علاقة له بشيء ولا أعرفه من قبل أصلا، وهو حشاش يلعب بالحمام ودينه قليل، إلا أنه كان قادما لزيارة ابن عمه أحمد حساني فلما رأى الجيش مطوقا المزرعة استدار راجعا فأطلقوا عليه النار وأصابوه في مؤخرته ثم اعتقلوه، وكان عبد الله هذا يسب ابن عمه كثيرا.

إلى القابون ومربع كفر سوسة الأمني:

وبعد أسبوع حولنا إلى الشرطة العسكرية، فمكثنا فيها يوما واحدا، ثم نقلنا إلى البولوني في حمص، وفي السبت صباحا نقلنا إلى الشرطة العسكرية في القابون، وفي كل مكان ننزله كنا نعذب التعذيب ذاته والمصاب له نصيب زائد.

وفي السيارة التي نقلتنا رأيت سلاحا كثيرا في زاويتها، فقلت في نفسي: كان الله

في عون من قبض على هذا السلاح بحوزته، ثم قيل لنا: ليقف كل واحد منكم قرب أماناته، فبقيت حائرا، فجاء إليّ عنصر، وقال: قف قرب أماناتك تلك الأسلحة، وإذ بتلك الأسلحة هي التي أخذوها من المزرعة بعد مداهمتها، وقد جعلوها جميعا باسمي، وكانت سبع عشرة بندقية وأربعة رشاشات (ب ك س) وثلاثة قواذف آر بي جي وقناصة مكنظمة، وقد ختم على السلاح بالشمع الأحمر وجعل في أماناتي.
وفي القابون مكثت جالسا جاثيا معصوب العينين إلى آخر الليل، ثم جاءت دورية فبدلوا القيود وقاموا بنقلنا، وطوال الطريق وهم ينهالون علينا ضربا حتى وصلنا إلى حاجز فسلم عناصر الدورية سلاحهم ودخلوا، فسرنا قرابة ثلاثة كيلو مترات، ثم توقفت الحافلة، وقالوا لنا: انزلوا، فنزلنا وكنا حفاة وأنصاف عراة، فدخلنا بناء ضخما أكثر من عشرة طوابق وفي أسفله مرآب للسيارات، فقال أحد السجناء -وكانت خدمته العسكرية سابقا قريبا من هنا-: نحن في المربع الأمني في كفر سوسة.
دخلنا بين السيارات -والبرد شديد والسماء تمطر وقد غلب الخوف علينا وعذاب نفسي رهيب ومصير مجهول- حتى وصلنا بابا عرضه مترين وارتفاعه مترين وبجانبه شاشة حاسوب، فضغط أحد العناصر على زر في الشاشة فأجابه شخص آخر من الداخل وطلب منه كلمة السر فأعطاه إياها ففتح الباب، فنزلنا أربعة طوابق تحت الأرض وتوجد طوابق سفلى أخرى أيضا.

وهناك أخضعونا للتفتيش فعرونا بشكل كامل مع حركات أمان وضرب وسرقات من الأمانات التي مع السجناء، وبعض السجناء معهم مبالغ كبيرة جدا.

أخذوا منا كل شيء تقريبا؛ الحزام ممنوع، وأشركة الحذاء ممنوعة، والساعات ممنوعة، بقينا عراة لمدة ساعتين، ثم وزعونا على المهاجع، وساقوني إلى أحدها، وهناك أخبرني السجناء أني في كفر سوسة فرع 291، وكنت أكاد أموت فجروحي تنزف والضمادات لم تغير من عشرة أيام.

التقيت بأناس كثر من مختلف المحافظات؛ آباء وأبناء وإخوة، ورأيت من حال بعضهم ما هون عليّ ما أنا فيه.

التقيت برجل وشت به زوجته، وأخرى وشت بأخيها وأبيها، ورأيت شابين وشى بهم أبوهم، والشابان من حماة وهما محمد قاسم سفراني ومواليده 1992م وأخوه شيخ يوسف قاسم سفراني، وكان معهما اثنان من أعمامهما وخال لهم، وجميعهم وشى بهم والد الشابين وهو شيخ وخطيب معروف في الحميدية في حماة، وأم الشابين خالها محمد حربة وزير داخلية سابق، وهم جميعا مؤيدون للنظام، وشيخ يوسف سيارته تابعة للقصر الجمهوري.

وسبب اعتقالهم أن حماة لما حررت وخرج منها النظام ذهب الناس إلى المخافر والقطعات العسكرية فغنموا ما فيها من سلاح وذخائر ومحروقات، فكان هؤلاء النفر فيمن ذهب وأخذ من المخافر كما أخذ الناس.

كانت معاملة المؤيدين كباقي السجناء؛ يُضربون ويعذبون ويهانون، حتى أن أحدهم مرة كان يعذَّب فأخذ يتوسل للضباط وانبطح عند رجليه وأخذ يقول: والله أنا أحب بشار الأسد، فركله الضابط على وجهه بقوة، وقال له: ××× أختك على أخت بشار الأسد.

وشيخ يوسف كان حافظا للقرآن وخطيب جمعة إلا أن الله طمس على بصيرته فكان يكتب في المهجع: سوريا الأسد.

كنت أمضي وقتي حزينا فجميع من معي نال الشهادة وكدت أنالها ثم حيل بيني وبينها، كنت أبكي كثيرا، وكان أشد علي من السجن نوعية الأشخاص الموجودين، فأنا من بيئة متدينة محافظة، وهنا أخالط الحشاشين والمجرمين وأصحاب الدعارة، بل كان معنا من سجن بتهمة زنا المحارم ومن سجن بتهمة اللواط.

محاولة عمل لقاء مرئي:

بقيت في كفر سوسة من السبت إلى الخميس، ثم نقلت مع خمسة إلى الفرع 293 وهو رئاسة الأمن العسكري لجميع أفرع سوريا، وكان نقلي من أجل تصويرنا وعمل لقاء مرئي معنا لينشر في الإعلام السوري، لنقول: إننا إرهابيون، وكنت أبغض ذلك أشد البغض وأدعو الله أن ينجيني من ذلك.

قبل التصوير يلبس من يراد التصوير معه لباسا جميلا، ويجمل قدر الإمكان لتخفى آثار التعذيب، ويعطى ورقة ليقرأ منها ما يجب أن يقوله، وبعد التصوير يعذب عذابا رهيبا جدا.

لما جاء دوري حاولوا تجميلي وإخفاء آثار التعذيب بالمراهم والدهون ولكنهم أخفقوا لشدة إصاباتي، فألغوا التصوير معي وانهالوا عليّ ضربا مبرحا ثم أعادوني إلى الفرع 291.

إلى فرع الدراسات العام:

في اليوم التالي حولنا إلى الفرع 248 وهو فرع الدراسات العام في سوريا، وهناك نزلت ثمان وأربعين درجة تحت الأرض حتى وصلت إلى مكان التحقيق.

وضعت في زنزانة انفرادية من حيث المساحة فطولها 180سم وارتفاعها كذلك وعرضها 120سم، إلا أنهم جعلوها مهجعا جماعيا فقد حشروا فيها تسعة أشخاص، وفي سقف الزنزانة توجد خمس فتحات، وفوقها بمترين سقف آخر فيه مصابيح يدخل ضوؤها إلى الزنزانة من خلال الفتحات الخمس، ولا يوجد في هذه المنفردة خلاء ولا ماء، إنما يسمح للسجين بالذهاب مرتين إلى الخلاء يوميا؛ مرة صباحا والأخرى عند غروب الشمس، وكنا ننام قعودا لضيق المكان، وعدد المنفردات بهذا الشكل ستة، وعند خروجنا إلى الخلاء نسير في رتل أحادي مستقيم، وبقربنا عشرة عساكر معهم أكبال يجلدوننا بها طوال الوقت، وإذا دخل السجين إلى الخلاء فعليه أن يخرج بمجرد أن يقول له السجان: اخرج، ويكون ذلك حسب هواه، قد يكون بعد ثلاثين ثانية أو دقيقة أو دقيقتين.

خرجت ذات مرة إلى الخلاء، وأثناء ذلك جلدني أحدهم ففتح في ظهري جرح وأخذ الدم ينبعث بشدة -ولهجتنا أننا نلفظ القاف قافا وليس همزة-فظن السجان من لهجتي أنني من النصيرية، فنادى الطبيب والممرض وقال: هذا من جماعتنا أوله اهتمامك، فلما سألني: من أين أنا؟ وعلم أني سني ولست علويا انهال الثلاثة علي ضربا، والطبيب والممرض أشد حقدا وإجراما من السجان.

نزع الطبيب الضماد ثم صب على الجرح بوفيدون، ثم ضمد الجرح ثانية وصب عليه حمض الليمون، وأخذ يضربني على جرحي فأغمي علي، ولم أستيقظ إلا وأنا في الزنزانة والسجناء يحاولون مساعدتي.

أما الطعام فكنا نعطى رغيفين وأحيانا ثلاثة مع قليل من البرغل وحبتي بطاطا وبيضتين لنا نحن التسعة طوال اليوم، يفتح السجان الباب فيضرب من يجد في وجهه ثم يرمي كيس الطعام ويمضي.

ثم أتوا بكاميرات وأمسكت لوحا كتبوا فيه كلاما وأرقاما، ولم يسمح لي بقراءته، والتقطوا لي عدة صور، في كل مرة يمحون المكتوب ويكتبون شيئا جديدا ثم يلتقطون صورا مجددا.

إلى صيدنايا:

ثم نقلنا إلى القابون فمكثنا فيه ساعة ونصف لتأتي بعدها سيارة نقل السجناء فنصعد إليها مكبلين معصوبي الأعين وتمضي بنا في طريق مليء بالأكواع، وكان الشباب يظنون أننا ذاهبون إلى المحكمة وهناك يكون سؤال وجواب ثم يطلق سراحهم، وكنت أعلم أن قضيتي ليست بهذه السهولة فقد كان هناك سلاح واشتباك مع الجيش عندما قبض علي.

وكان معنا شاب من دوما، فقال لنا: هذا طريق صيدنايا، وكنت قبلا شاهدت فيلما وثائقيا عن صيدنايا والاستعصاء الذي حصل فيه عام 2008م والإجرام الذي يمارسه

النظام فيه وسوء السمعة التي يتمتع فيها هذا السجن، فلما سمعت ذكر صيدنايا هبطت معنوياتي وأخذت أتذكر كل ما شاهدته وما سمعته عن السجن من التعذيب الرهيب والذي يفضي أحيانا إلى القتل، ورمي حية إلى السجين في المنفردة، والماء الذي يتقاطر على السجين في المنفردة وهو في ظلام دامس.

لما وصلنا وجدت تطابقا بين ما رأيته في الفيلم سابقا وبين ما أنا فيه حاليا، أصوات نقاط ماء متساقطة، ومواء يصدر من قطط متوحشة، وجو في غاية الكآبة. كنا ثمانية عشر شخصا فاستُقبلنا كالعادة بالضرب والإهانة والشتائم والكفر وتأليه بشار، كانوا يقولون لنا: بشار الأسد إلهكم، ربكم، كيف تجرؤون على الخروج عليه؟ كنا في السيارة ومن سينزل أولا يعتبر مقتحما للمجهول، فكان الأخ الذي قرب باب السيارة لا يريد النزول، فسحبوه سحبا ورموه مع عبارات الكفر والشتم، وسمعنا صوت ارتطامه بالأرض، وهكذا أخذوا يرمون السجناء من السيارة، وكنت ملفوفا بالشاش ولا ألبس سوى سراويل قصيرة، فحملوني من رجلي ورموني منكسا على رأسي، وكلنا مقيدون معصوبو الأعين، واجتمع على كل واحد منا عدد من السجانين يعذبوننا بعضهم يضرب بكبل الدبابة وآخر بالقضيب المسمى بالأخضر الإبراهيمي وثالث بعصا الكهرباء وكانت هذه الأشد علينا، وكالعادة عذبت أكثر من باقي السجناء، ثم أدخلونا ممرا تحت الأرض فمشينا أكثر من مائتي متر، ثم نزلنا عددا من الدرجات قدرتها بأكثر من طابقين، ثم أدخلونا ساحة تكتنفها منفردات، وبدأت حفلة تعذيب جديدة، وعرونا جميعا كما ولدتنا أمهاتنا ثم بدؤوا بأخذ بياناتنا الشخصية (الاسم الثلاثي وتفاصيل هويته وهل هو مدني أم عسكري) والضرب لا يتوقف أثناء ذلك، وصراخ السجناء يملأ المكان، وكلما انتهوا من أربعة أو خمسة سجناء أدخلوهم إلى المنفردات، فكنا نغبطهم على ذلك كونهم ارتاحوا من الضرب والعذاب، وتركوني حتى كنت آخر واحد فنادوني: تعال، أنت تجاهد؟ ثم حلوا الشاش وتعمدوا ضربي على الجروح فعادت إلى النزيف وساءت حالتها بعد أن كاد بعضها يلتئم، وزاد الأمر سوءا أنها امتلأت بالأوساخ نتيجة لملاقاتها الأرض التي كانت مليئة قذرا ووسخا، ثم قالوا مستهزئين: سنحضر لك طبيبا ليداويك، فأحضروا كيس ملح وفي ظهري حفرة نتيجة طلقة خارقة حارقة فملؤوها ملحا، فأحسست أني كويت بنار أو صب

علـيّ أسـيد، ثـم أحضـر أحدهـم سـيخ بـارودة وفي رجلـي ثقـب مـن جانبيـن نتيجـة طلقـة دخلـت وخرجـت فأخـذ يدخـل السـيخ في الثقبيـن ويحـز بـه ذهابـا وإيابـا، ولـم يُـرض ذلـك إجرامـه فصـار يدخـل إصبعـه وينتـف اللحـم، كانـوا مجتمعيـن علـي كمـا تجتمـع الضبـاع على فريسـتها، أحدهـم يضربنـي والآخـر يعبـث بجراحـي وثالـث يسـب ويكفـر ورابـع يؤلـه بشـار، ولكثـرة العـذاب غبـت عـن الوعـي فلـم أعـد أشـعر بشـيء، ولا أدري كـم اسـتغرقت مـن الوقـت وأنـا مغمـى علـيّ، غيـر أنـي اسـتيقظت لأجـد نفسـي في المنفـردة مـع ثلاثـة آخريـن منهـم الشـابان مـن أسـرة السـفراني ومعنـا شـاب ملتـزم وملتـحٍ يدعـى يحيـى درويـش إلا أنـه ليـس لـه علاقـة بالثـورة والجهـاد إنمـا يعمـل بائعـا جـوالا على عربـة، وفي السـجن كثيـر مـن الأشـخاص ليـس لهـم علاقـة بالثـورة والجهـاد بـل بعضهـم شـبيحة ومؤيـدون.

غسـل السـجناء وجهـي ومسـحوا جراحـي، كمـا غسـلوا الشـاش القـذر الـذي كنـت ملفوفـا بـه -فقـد رمـاه السـجانون معـي في المنفـردة- ثـم أعـادوا لفـه على جروحـي، وكان عندهـم بعـض الطعـام المخبـأ وهـو مجـرد ربـع رغيـف يابـس قـد أصـاب بعضـه العفـن وثـلاث حبـات زيتـون، فأكلتهـم وشـعرت لشـدة جوعـي أن هـذا ألـذ طعـام في الدنيـا، ثـم سـألتهم: منـذ متـى وأنتـم هنـا؟ فقالـوا: منـذ أسـبوع.

ورأينـا على جـدران المنفـردة خطوطـا خطـت بعجـم الزيتـون كل مجموعـة على حـدة، فعلمنـا أن هـذه الخطـوط خطهـا السـجناء وكل خـط يعنـي يومـا، فكانـت أكبـر مجموعـة ثمانيـة وثلاثيـن خطـا وأقلهـا عشـرة خطـوط، فعلمنـا أن مـدة مكثنـا هنـا سـتمتد مـن عشـرة أيـام إلـى ثمانيـة وثلاثيـن يومـا، نمـت تلـك الليلـة في المنفـردة وفي صبـاح اليـوم التالـي جاءنـا السـجانون بالطعـام فـإذا هـو رغيفـا خبـز وعليـه القليـل مـن البرغـل وأربـع حبـات زيتـون وحبـة بطاطـا واحـدة، وهـذا هـو طعـام أربعـة أشـخاص ليـوم كامـل، وأحيانـا كان ينقـص منـه الزيتـون أو البطاطـا.

كان أحـد السـجناء ويدعـى شـيخ يوسـف قـد درس في الأزهـر وحفـظ كتـاب الله ودرس عنـد المشـايخ الصوفيـة ولسـانه طلـق، غيـر أنـه رجـل قـذر كان جـل كلامـه عـن الضابـط

الفلاني ورئيس الشرطة وذهابه معهم وصحبته لهم، وكان أخوه محمد أفضل منه، وكان كثيرا ما يحدثنا عن أمه وشوقه لها ويبكي، وهو شاب عاطفي كان مدللا من والدته وقد تربى في أسرة غنية، وكان أكثر ما يحز في نفسه أن أباه هو الذي وشى به وأسلمه إلى النظام.

وبما أن يحيى إبراهيم الدرويش سلفي (قتل لاحقا في صيدنايا) وشيخ يوسف صوفي فما كان يمر يوم إلا وتحدث مشكلتان أو ثلاث بينهما، وبما أن شيخ يوسف دارس ومتعلم فقد كان يظهر على يحيى درويش والذي كان مع إخلاصه وحبه لدينه جاهلا، ومن المؤسف أن يكون المتعلم شبيحا والمحب لدينه الغيور عليه جاهلا.
بقينا في المنفردة ثمانية عشر يوما، والنظام في صيدنايا أن من يدخل إلى هذا السجن لا بد أن يمضي مدة في المنفردة ثم ينقل إلى المهاجع الجماعية، وفي اليوم الرابع عشر استيقظت فلم أجد محمدا في المكان الذي ينام فيه، وتحولي من الاضطجاع إلى الجلوس يحتاج وقتا بسبب جراحي، فزحفت إلى الباب فرأيته وقد هيأ قميصه وعلقه حتى صار كحبل المشنقة وأدخل عنقه، فصرخت بالشباب النيام فقاموا فزعين وأدركوه في اللحظة الأخيرة، فأخذت أحدثه عن الانتحار وحرمته وحاولت تصبيره على ما هو فيه من شدة البلاء فبكى بكاء شديدا ثم هدأ وخلد إلى النوم.

كنا نسمع السجان يدق على أبواب بعض المنفردات ويطلب منهم الاستعداد لينقلهم إلى مكان لا نعلمه، والضرب لا يفارق السجناء في كل تحرك يتحركونه، وبعد ثمانية عشر يوما قضيناها في المنفردة جاء السجان وطرق الباب على المنفردات المجاورة لنا، ثم طرق باب منفردتنا وطلب منا الاستعداد، وفي آخر الليل خرجنا على هيئة قطار كل منا ممسك بالسجين الذي أمامه كهيئة الركوع واضعا كنزته في رأسه، فسار بنا السجان شيئا ما ثم صعدنا ثلاثة طوابق في تقديري، ومن يتعثر أثناء الصعود فالويل له ولا يزال الزبانية يضربونه حتى ينهض ويتابع الصعود، ثم فتح باب حديدي كبير وتلاه باب آخر فتح أيضا، وشعرت أننا نمشي في ممر، وبعدما يقرب من خمسين مترا فتح باب ثالث كبير، وصرصر بصوت يصم الآذان، ورمونا في

غرفة كبيرة بابها بمقدار عرضها، وقد جعلت الأبواب هكذا وصفحت الجدران بالصاج بعد استعصاء صيدنايا عام 2008م.

رمينا داخل هذه الغرفة وجعلوا شيخ يوسف شاوش المهجع، فقالوا له: أنت عرصة المهجع، والشاويش في كل السجون أفضل من غيره سوى صيدنايا فهو أسوأ السجناء حالا.

وجدنا على أرض المهجع غبارا سميكا مما يدل على أن المهجع كان خاليا ولم يكن فيه سجناء منذ مدة طويلة، كما وجدنا علب لبن فارغة وبطانيتين فرشنا إحداهما والتحفنا بالأخرى ثم نمنا، وفي اليوم التالي أحضروا إلى مهجعنا ثلاثة سجناء جدد واستمروا على ذلك كل يوم يحضرون إلى مهجعنا سجناء جدد حتى صرنا اثني عشر سجينا، وذلك في بداية عام 2012م، وفي البداية كانوا يضعون سجناء كل محافظة على حدة؛ فالحمويون في مهجع وحدهم وكذا الحلبيون والحمصيون وسائر المحافظات، حتى إذا كثرت أعداد السجناء جدا صاروا يخلطونهم.

كانت القوانين في المهجع أن الطعام ممنوع بعد توزيعه إلا بعد إيعاز من السجان، والنوم أثناء النهار ممنوع منعا باتا، وأما في الليل فلا نوم إلا بعد إيعاز من السجان، فإذا أعطى السجان أمرا بالنوم فعلى جميع المساجين أن يخلدوا إلى النوم ويمتنعوا عن الحركة منعا باتا، والكلام ممنوع ليلا ونهارا فقد وصل عدد السجناء في صيدنايا إلى عشرة آلاف سجين، ومع ذلك لا تسمع سوى أصوات السجانين وأصوات المعذبين وصراخهم واستغاثتهم، وما سوى ذلك لا تسمع همسا، حتى لو أنك رميت بإبرة لسمعت صوت رنينها وهي ترتطم بالأرض، والصلاة محرمة، فقد كانوا يقولون -فض الله أفواههم-: هنا لا يوجد رب، ومن وشي به أنه يصلي فعقوبته القتل، فكنا نتحايل حتى لا يشعر بنا أحد ونحن نتيمم ونصلي خلسة بأعيننا، وكان الضابط يشتري ضعاف النفوس بسيجارة، يأتي فيقف أمام المهجع ثم ينفث دخان سيجارته فيتشوق بعض المدخنين إليها، فيخرجه ويعطيه سيجارة، ثم يسأله من يصلي عندكم في المهجع؟ فيقول: فلان، فيخرج ليقتل، وبعضهم كان يبيع دينه بملعقة

حلاوة أو بقطعة من الخبز، ففقد السجناء الثقة ببعضهم؛ إذ إن الضابط لما يدخل ويخرج أحد السجناء ليسأله نكون جميعا معصوبي الأعين فلا نعرف من هو الخائن بيننا.

كان التجويع أحد أساليب العذاب الرهيبة، فكنت ترى الرجل الضخم يبكي من شدة الجوع، وكان بعض ضعاف النفوس يسرق من طعام إخوانه أو يأكل حق غيره، وينتج عن ذلك شجار ومشاكل، والجوع بلاء عظيم، وقد ألحد بعض السجناء وكفروا لشدة البلاء، فصار بعضهم يقول: نحن الذين كنا نصلي ونصوم ونجاهد في السجن والبلاء والعذاب، وهؤلاء الكفار منعمون مرفهون، فلو كان هناك إله حقا لنصرنا.

وبما أن مهجعنا من حماة فقد كانوا يطلقون علينا مهجع العراعير نسبة إلى الشيخ عدنان العرعور.

كان معنا أناس عذبوا عذابا رهيبا فلم يعترفوا بشيء، ولم يقدر النظام على انتزاع اعترافات منهم، فلجأ إلى أسلوب آخر قذر، فقد أرسل إليهم ضباطا صاروا يجلسون معهم ويعطونهم درسا في الوطنية وحب الوطن، ويقولون: نحن جميعا أبناء الوطن الواحد والعرعور جالس مرفها في فنادق السعودية، وليس المشكلة في أن يخطئ الإنسان أو يخدع بكلام العرعور المهم أن يدرك خطأه ويندم عليه، فانطلت هذه الخدعة على بعض الشباب وحكوا للضباط عن أمور فعلوها وأعلنوا توبتهم وأظهروا ندمهم، ولم تمض أيام حتى نودي بأسمائهم ونقلوا ليعاد التحقيق معهم.

إلى المحكمة الميدانية:

كان السجانون ينادون أسماء بعض السجناء في أيام السبت والأحد والاثنين والثلاثاء، ثم ينقلون إلى مكان لا نعرفه ليعادوا في اليوم ذاته عند المغرب أو لا يعادوا، فتكلم شيخ يوسف مع الغرفة المجاورة لغرفتنا وسألهم عما يجري، فأخبروه أن هؤلاء يساقون إلى محكمة ميدانية عسكرية -ولم يكن يوجد غيرها في سورية، وبعد كثرة المعتقلين أنشأوا محاكم أخرى من هذا النوع- وتبعية هذه المحكمة

قبل الثورة لوزير الدفاع ورئيس الجمهورية، وحصرت بعد الثورة برئيس الجمهورية. وكان معنا في غرفتنا رجل من درعا يدعى هايل العسكري، وعمره ثلاثة وخمسون عاما، وكان يعمل رئيسا لديوان هذه المحكمة لمدة عشرين عاما، فكان يحدثنا عن المحاكمات الهزلية التي تجري في هذه المحكمة؛ إذ إن إضبارة المتهم تأتي إلى لجنة الحكم بعد أن تدرس من عدد من الضباط المختصين، فيرفقون معها الأسئلة التي يجب أن تسألها لجنة الحكم، والحكم الذي يجب أن يصدر، فقد كانت هذه المحكمة شكلية وليس للجنة الحكم فيها أمر ولا نهي، وليس بيدهم حل ولا عقد، والقاضي مجرد ببغاء.

في الشهر الثالث من عام 2012م أخذوا سجناء من غرفتنا إلى المحكمة الميدانية وأعادوهم عند المغرب، فلما رجعوا ذكروا لنا أنهم ذهبوا إلى تلك المحكمة في القابون، ورئيس هذه المحكمة العميد محمد كنجو وهو من دير الزور، وأحد أعضائها العميد طلعت محفوظ إضافة إلى لواءين.

ثم نودي باسمي وباسم الشاب عبد الله قدور الذي قبض عليه عند مداهمة المزرعة التي كنا فيها في 10 / 3 / 2012 وساقونا إلى القابون، وهناك وضعونا في مكان مقيدين معصوبي الأعين مع الضرب المستمر، ومع أن المعاملة كانت سيئة إلا أن أسوأ معاملة كانت خيرا من معاملة الزبانية في صيدنايا.

ساقونا معصوبي الأعين مع الصفع واللهز والوكز والركل حتى وصلنا إلى المحكمة، وهناك رفعوا العصابة عن أعيننا لندخل غرفة فيها طاولة وكراسي قديمة جلس عليها أعضاء لجنة الحكم، ثم طاولة أخرى منفردة وقد استند إليها كاتب عسكري يكتب ما يملى عليه، لما دخلت والدماء تنزف مني من آثار الضرب أبصرت كنجو وبيده إضبارة ومن بجواره كل واحد منهم بيده قصاصة ورق صغيرة، فقال لي كنجو: أنت فلان؟ فقلت: نعم، فقال: أنت طالب علم أم طالب يحمل سلاحا ليقتل به الجيش -والأسلحة التي صادروها من المزرعة قد حشدت جميعا عند الباب-، فقال: وهذا السلاح الذي معك؟

فقلت: كنت أبيعه في الجامعة، ما أدراني من أين جاء هذا السلاح؟ لقد مكثت أعذب ثمانية عشر يوما متصلة، هذا سلاح الجيش ولا علاقة لي به.
فقال: كم مظاهرة خرجت؟ فقلت: ما من مظاهرة خرجت في حماة إلا وشاركت فيها.
فقال للكاتب: اكتب، أنكر ما نسب إليه، وقال لي: ابصم، وكانت الجراح على يدي تمنعني عن ذلك، فقال الكاتب: لا يمكنه أن يبصم، فقال له: ابصم أنت عنه، فبصم عني.

ثم أعادوا القيد في يدي والعصابة على عيني وساقوني محفوفا بأنواع الضرب إلى السيارة، فسارت بنا إلى صيدنايا لنستقبل بمثل ما ودعنا به من العذاب ثم نعاد إلى المهاجع التي كنا فيها، وكل المعلومات والبيانات عن السجناء تدون على الحواسيب.

لما دخلت إلى المهجع اجتمع علي السجناء يسألوني عما جرى، فأخبرتهم بذلك والذي جرى معي جرى مع السجناء الذين نقلوا إلى المحكمة قبلي، فالقصة واحدة تتكرر، ولكن السجين كالغريق يتعلق ولو بقشة.

التداوي بالرقية الشرعية:

كنت أكنى في السجن بأبي كتف؛ لأن إصابتي الشديدة كانت في كتفي وقد أصابها الالتهاب وأنتنت، وكان في السجن طبيب وتحت يده ستة ممرضين، فنادانى وكشف عن كتفي، وذلك بعد ستة أشهر من تاريخ اعتقالي، فرأى التهابا شديدا وديدانا تمشي في الجرح ورائحة كريهة تنبعث، فقال: هذا لا يمكث إلا أسبوعا أو عشرة أيام على الأكثر ثم يفطس (يعني يموت) وذهب ولم يعطني أي دواء ولم يغير لي ضماد الجراح.

كنت أجلس في زاوية بعيدا عن باقي السجناء حتى لا أؤذيهم برائحة جراحي، فقد كان بعضهم ينفر من ذلك أشد النفور، وكان ذلك يؤلمني نفسيا.

كان بعض السجناء يسبونني وينتهرونني ويكثرون التأفف مني، كما كان بعض السجناء أحن من والدتي عليّ، وأقسم أن لو كانت معي والدتي ما خدمتني كما خدمني هؤلاء الإخوة، كان أحدهم يطعمني ويدخلني الخلاء فينظفني ثم يشكرني أني كنت سببا في نيله الأجر والثواب، وبشكل عام كان في السجن أخيار وأشرار. بعد ذهاب الطبيب، قال لي الشباب: وضعك في ترد وتراجع، وليس لدينا دواء لنقدمه لك، ولكن نستخدم الرقية الشرعية فهذا ما نقدر عليه، ففكوا الشاش وغسلوه وغسلوا الجرح بالماء المرقي وتبرع أحد الإخوة بكنزته فقطعها الشباب ست قطع وأقبل أحدهم يفرك الالتهاب بها ويزيله وآخر يلوح بكنزته لينشف الجرح، وكان البرد شديدا، فكنت أبكي من شدة الألم، كنت في حالة يرثى لها، فأنا غير قادر على استعمال يدي لما فيهما من الجروح وأحتاج لمن يطعمني وأحتاج لمن يدخل معي الخلاء وينظفني، فقد ظلت يدي تسعة أشهر وأنا لا أقدر على تحريكها، وكما يقال: السجن بأهله، فالعذاب يتضاعف عندما يكون في السجن أناس أخلاقهم سيئة ودينهم رقيق، ويكاد المرء لا يشعر بالسجن إذا كان مع صحبة صالحة، ولذلك أهون السجن علي كان ما قضيته في المنفردة.

أخذ جرحي يتحسن بعد العلاج الذي كان يقوم به بعض السجناء، وأحسست أن عافيتي وقوتي بدأت تعود إليّ، وبعد أقل من شهر ونصف من وعيد الطبيب لي بالهلاك عاد فرآني فدهش، وقال: أبو كتف؟ ما زلت حيا؟ ألم تفطس؟ فقلت: لا سِيدي فقال: تعال، فجئت إليه، فكشف عن جرحي فلما أبصره صعق، رأى الضماد وقد كاد أن يصبح كالعهن المنفوش لكثرة ما غسل وأعيد، لقد غسل أكثر من خمسين مرة، ورأى الجرح وقد تحسن، فأخذ يكفر ويشتم، ويقول لي: من غيّر لك على الجرح، فقلت: لا أحد، فقال: كذاب، وكنت سعيدا، وقلت في نفسي: أيها الخنزير لو كان الشفاء بيدك لما شفيت، ثم طلب اجتماع للممرضين، وقال لهم: من غيّر لهذا؟ فكلهم أنكر ذلك -وصدقوا وهم الكذبة-، فقال: من يعترف فسأعفو عنه، فلم يعترف أحد، فطفق يضربهم ضربا مبرحا، ثم قال لهم: ستذهبون جميعا إلى السجن إلى سرية التأديب، وكان الفرح يغمر قلبي وأنا أرى الله يضرب الظالمين بعضهم ببعض، فقد كان هؤلاء الممرضين يعذبونني ويعذبون السجناء.

إلى المحكمة العسكرية في حمص:

وفي 16 / 5 / 2012م نادوا اسمي واسم عبد الله قدور بعد الظهر فأخذونا إلى غرفة كانوا يجمعون فيها السجناء الذين ينادون أسماءهم، ثم قيدونا وعصبوا أعيننا في حافلة تعذيب معتادة، ثم ساقونا إلى السيارة فسارت بنا حتى وصلنا إلى الشرطة العسكرية في القابون، وبما أنها مقر تجمع فقط فقد كانت المعاملة أفضل من صيدنايا، والشيء الجيد هناك أن الطعام كثير، فأكلنا حتى شبعنا، وأمضينا الليلة هناك، وفي الصباح نقلونا إلى البولوني في حمص، فاستقبلنا بما نستقبل به عادة من الضرب والشتم والتعذيب والتفتيش، ثم وضعنا في أحد المهاجع، وكانت سيارات نقل وإحضار السجناء لا تهدأ، فقد تأتي في اليوم الواحد أكثر من خمسين سيارة مليئة بالسجناء.

وفي اليوم التالي نادوا مائة وخمسة أسماء، كنت وعبد الله من ضمنها، فسارت معنا دورية، ومع سائر السجناء دورية أخرى، وكانت لنا معاملة خاصة تفوق سوءا معاملة الآخرين، فعلمنا أن قضيتنا صعبة جدا، وسارت بنا السيارة حتى وصلنا إلى مكان لم نعرفه، فدخلنا مبنى تحت الأرض، وهناك التقينا بالمائة وثلاثة سجناء الذين نادوا أسماءهم معنا في البولوني.

وبما أن الجنود والضباط الذين قتلناهم تابعون للفرقة 18 ومقرها حمص فقد أُحضرنا إلى المحكمة العسكرية في حمص، أضف إلى ذلك أن حماة لم يكن فيها حتى ذاك الحين محكمة عسكرية.

كانوا يجهزون السجناء ليدخلوا على القاضي، فأخذوا يضربونني ويقولون: كم واحد قتلت أنت؟ أدخلوا عبد الله أولا فسأله القاضي بعض الأسئلة، ثم خرج فأوقفوه بعيدا عني، ثم أدخلوني على القاضي في مكتب مدني والقاضي يلبس لباسا مدنيا، وبين يديه كاتب عسكري برتبة رقيب أول، فقال لي القاضي: تفضل يا ابني، فقلت: أأنا ابنك؟ فقال: تفضل يا... ثم أخذ يعد أسماء جنود وضباط قتلوا في مداهمة المزرعة، وأتبع ذلك بقوله: من قتل هؤلاء؟ فقلت له: وما يدريني من

قتلهم؟ قتلوا في اشتباك مع المسلحين، فقال: أنت لم تكن مع المسلحين؟ والله لأحرمنك رؤية الضوء، ثم أخرجت من عنده مصحوبا بالضرب الشديد، ثم أعدت إلى الشرطة العسكرية في حمص ومنها إلى البولوني، فنظر إلي عبد الله وقال: (أكلنا هوا)، فقلت له: اصبر واحتسب، الحبس هو الحبس والجزع لا يفيد فاصبر لتؤجر، وكان إلى هذا الوقت مصرا على ترك الصلاة، وحاولت معه مرارا دون فائدة، فقلت له: ترجو رحمة الله وأنت لا تصلي؟!

وفي اليوم التالي أخذونا إلى الشرطة العسكرية في القابون في دمشق، فبتنا ليلتنا هناك، ثم أعدنا إلى صيدنايا، ولكنهم أخطأوا فأخذونا إلى صيدنايا الأبيض بدل الأحمر، فاستقبلنا استقبالا جيدا مقارنة بالسجن الأحمر، حتى إن عبد الله طلب سيجارة فأعطي، ثم سألنا السجان: أين مهجعكم؟ فقلنا: لا نعلم، فرجع إلى المساعد فسأله، فقال: هؤلاء من السجن الأحمر، فتغيرت معاملته مباشرة إلى أقذر معاملة، وانهال ضربا علينا، ثم اتصل بالسجن الأحمر وطلب إرسال دورية لأخذنا، وكانت تلك اللحظات من أشق لحظات السجن علينا، ولما وصلت سيارة نقلنا إلى السجن الأحمر بادر أحد الراكبين فيها فنزع حذاءه ورمانا به، فقلت لعبد الله: جاء أصحابك، ثم ضربونا وأخذونا لنستقبل في السجن الأحمر بشر ما يستقبل به سجين من التعذيب والتفتيش، ثم قال عسكري للضابط: أين نضعهم؟ فقال: أنزلهم إلى الأسفل، فبادرت وقلت: سِيدي نحن لسنا جددا نحن هنا من سنة ومكاننا في المهجع الفلاني، فقال: وتتكلم أيضا ولاك (كلمة عامية مركبة من كلمتين ويل و لك) وازدادوا ضربا لنا، ثم أنزلونا إلى المنفردة، فكان فيها ثلاثة فصار المجموع خمسة.

أصعب مرحلة طوال مدة السجن:

كان في المنفردة عندما رُمينا داخلها ثلاثة سجناء؛ شاب من دوما اسمه ياسين المصري، وآخر من حمص من باب السباع اسمه شادي عبد الغفار دروبي، والثالث مساعد يدعى هايل العسكري، فسألتهم: منذ متى وأنتم هنا؟ فقال بعضهم: من شهرين، وقال بعض آخر: من ثلاثة أشهر، فقال عبد الله: وتريدني أن أصلي؟ فقلت له: سنصلي وندعو الله ولو قُطّعنا.

كان طول المنفردة 180سم وعرضها كذلك، وفي زاويتها الخلاء، وقد حشرنا السجان جميعا في الخلاء ففيه طعامنا وشرابنا وصلاتنا، ولا يسمح لنا بالخروج إلى سائر المنفردة إلا مرة كل أسبوع أو عشرة أيام، وكان يمشي حافيا في الممر بين المنفردات حتى لا يسمع صوت وقع أقدامه ثم يفتح شباك إحدى المنفردات فجأة، فإذا رأى أحد خرج من زاوية الخلاء حل به من العذاب والبلاء ما لا طاقة لبشر به.

سجن صيدنايا مساحته 26كم2 وطول سوره 6كم وعرضه كذلك، وهو سجنان الأبيض والأحمر ومديرهما واحد، أما الأبيض فتصميمه كهيئة المسدس وفيه الضباط والعساكر أصحاب المشاكل التي ليس لها علاقة بالثورة، ومعاملة السجناء هناك جيدة نوعا ما، والأحمر لونه أحمر وهيئته كهيئة إشارة السيارة المرسيدس وهو خاص بأصحاب التهم المتعلقة بالثورة.

ثم حلت بنا مصيبة المصائب، فقد طافت حفرة الخلاء فلم تعد بالوعتها تعمل، فحاول السجناء تسليكها حتى إنهم أدخلوا أيديهم بعد أن أدخلوها بكيس من النايلون فلم تنفتح، فأدخلوا عصاة الممسحة دون جدوى، فشكونا ذلك إلى السجان، فضربنا وشتمنا، وقال: نظفوها بلسانكم، وما من يوم يمر إلا ويزداد ارتفاع منسوب المياه النجسة بأقذارها حتى امتلأت الجورة وطافت إلى زاوية الخلاء، ثم طافت حتى ملأت أرض المنفردة، ومرّ علينا أسبوع كامل لم ننم فيه لحظة، وأنى لنا النوم والمياه القذرة النجسة تملأ أرض المنفردة، حتى أنا لم نكن نأكل كي لا نضطر إلى الخروج إلى الخلاء فتزداد النجاسات، وكنا كل يوم نشكو إلى السجان فيضربنا ويسبنا ولا يبالي بالأمر، وزاد الأمر سوءا حتى صار حلمنا ليس الخروج من السجن بل الخروج إلى منفردة أخرى نظيفة، لقد نسينا حريتنا بشكل كامل ونسينا الدنيا وراء القضبان، فكنا نتضرع إلى الله وندعوه لنخرج من المنفردة فقط، كان التعذيب ممنهجا مدروسا؛ فالجوع والتعذيب والتضييق يجعل تفكيرك ينحصر في حاجات الجسد من الطعام والشراب والخلاء، وينسى المرء ما وراء ذلك، ينسى الحرية ومناهضة النظام ورفض حكمه واستبداده والجهاد في سبيل الله.

حدوث انفراجة:

بقينا شهرا والمياه النجسة تتدفق في أرض المنفردة ويزداد صراخنا كل يوم، ويواجه السجان ذلك بالضرب والتعذيب، فكنا نقول له: اذبحنا ولكن أخرجنا من هنا، خلصنا من هذا البلاء، ثم فتح الباب علينا مرة وأخرجنا إلى منفردة فتح بابها ودفعنا داخلها ثم أغلقه، فلما دخلت سارعت إلى زاوية الخلاء فلما وجدت بالوعتها تعمل وأرضها نظيفة خررت ساجدا شكرا لله، وكانت فرحتنا هذه أعظم من فرحتنا لما خرجنا من السجن، ولما استقر بنا المقام خلعنا ملابسنا فغسلناها ونظفناها، وكان في المنفردة أربعة ونحن أربعة فصرنا ثمانية، ومع ذلك لم يزد الطعام مثقال حبة من خردل، ظل طعام الأربعة القليل أصلا يوزع على ثمانية فكنا في مسغبة شديدة. وفي اليوم التالي سمعنا صوت شخص يعذب عذابا شديدا، وهذا لم يكن شيئا غريبا؛ إذ إن أولئك المجرمين لا عمل لهم سوى تعذيب الناس، إنما الغريب أن هذا الشخص كان أثناء التعذيب يسبهم ويشتمهم، فصار عندنا فضول أن نعرف من هذا البطل الذي يجرؤ على مواجهة المجرمين بهذه القوة والشجاعة، واستمر التعذيب ساعة ثم فتح باب منفردتنا ليرمى فيها ذاك الشخص المعذب، كانت رجلاه تنبعث منها الدماء وقد تركت السياط آثارها القوية على جلده وتساقطت أسنانه، فسألته: من أنت؟ فقال: طالب أبو عبد الله ضفار، وعرفت أنه سجين سابق لدى النظام قبل الثورة بتهمة انتمائه لتنظيم جند الشام، وقد مكث وقتها في سجون النظام قرابة عام ونصف ثم خرج، وأعيد اعتقاله أثناء الثورة لسلوكه سبيل الجهاد في سبيل الله.

كان عمره سبعة وثلاثين عاما، يعمل قصابا يبيع لحم العجل كما يبيع الخضار أيضا، وهو من منطقة تدعى كازو في حماة، ووالده قتله النظام في ثورة الإخوان المسلمين، كان رجلا بألف رجل صاحب إيمان وعقيدة وشجاعة وبسالة لا يهاب الظالمين ولا يعبأ بهم .

سألته أتعرف الشيخ عبد الرزاق الأسعد؟ فقال: هو أستاذي، فقلت له: وأستاذي أيضا.

والشيخ عبد الرزاق رجل من أهل العلم كان يعطينا دروسا في الخفاء في منزله وقد فقد بصره منذ الثمانينات.

غسلنا جراح الأخ طالب وهي تثعب دما، وكنا نخشى إيلامه، فكان يقول: الأمر عادي الدم واللحم يذهبان ويأتي بدلا عنهما.

كان حاج طالب في المهاجع الجماعية فوق، فسألته: لماذا عاقبوك وأنزلوك إلى المنفردة؟ فذكر لي أنه كان رئيس مهجع، وقد يصدر من مهجعه صوت فيسأله السجانون: من أصدر الصوت؟ فيقول: لا أحد، فيضربونه ويغتاظون منه أشد الغيظ، كما أنه كان يضع أخا ليراقب قدوم السجانين ثم يصلي جماعة في المهجع ويعطي السجناء دروسا شرعية ويحفظهم القرآن، فقلت له: كيف تجرأت على فعل ذلك؟ فقال: نحن مقتولون لا محالة.

ثم أخبرنا أنه قبض عليه في مكان على طريق قمحانة بعد اشتباك مع قوات النظام -وكان السلاح وقتها نادرا-، أصيب أثناءه في بطنه وأجريت له عمليات استؤصل فيها طحاله وجزء من أمعائه، ثم كشف عن بطنه فإذا علامات ثلاثين غرزة طبية، ثم سألني: أين قبض عليك؟ فقلت: في مزرعة في جبرين، فقال: مع الحاج وائل كبيسي تقبله الله؟ فقلت: نعم.

صرنا تسعة في المنفردة ونحن تحت الأرض والهواء قليل ومنافذ التهوية تكاد تكون معدومة، فحدثت عدة وفيات نتيجة نقص الأوكسجين؛ إذ إن مرضى الربو وضيق التنفس والحساسيات لم يقدروا على تحمل ذلك، ولما كثرت الوفيات جاء أمر بتخفيف الضغط عن المنفردات، فأخذوا بعض السجناء من منفردتنا ومن ضمنهم حاج طالب ضفار ونقلوهم إلى منفردة أخرى قريبة منا، فكنت أراقب تحركات السجان من ثقب الباب فإذا ذهب ناديت حاج طالب وسألته: كيف الوضع عندك؟ فيقول: يلعن روح الأسد، لو كنا سنخاف من الكفار لما خرجنا مجاهدين، والسجناء في باقي المنفردات يسمعون الصوت ولكن لا يدرون من أي زنزانة يأتي.

كان طالب لا ينفك عن معاندة السجانين فيلقى تعذيبا مضاعفا، حتى مرض بالدوالي وتورمت قدماه وتعب جدا وساءت صحته، وكان يقول لي: لي رجاء وحيد قبل أن أقتل، أن أرى والدتي، مع أن طالب كان متزوجا وعنده ستة أولاد، غير أنه كان يريد لقاء والدته فقط، ثم ذهب مرة وعاد فرحا، فسألته: أين كنت؟ فقال: جاءت الغالية، لقد زارتني والدتي، وعرفت حينها أن أجله قد اقترب فقتل بعد مدة وجيزة نتيجة المرض والجوع ونقص التغذية وشدة التعذيب، فقد اجتمع عليه أربعة من الوحوش البشرية وظلوا يضربونه وهو يسبهم ويسب الأسد حتى لقي الله، وكان ذلك في آخر عام 2012م.

واستمرت جموع السجناء تفد بكثرة إلى صيدنايا فعاد الضغط على المنفردات، فقد كانوا يضعون السجين مدة في المنفردة تقرب من أسبوعين لكسر نفسه، ثم ينقلونه إلى المهاجع الجماعية، وكنا قد بقينا أربعة، فأخذونا إلى منفردة أخرى فيها أربعة، فصار عددنا ثمانية -بعد أن تضاعف عددنا-.

صناعة الطاغية:

لما نقلنا إلى المنفردة الجديدة وجدنا فيها أربعة أشخاص، وبمجرد أن وقع بصري عليهم لم أرتح لهم، فقعدت في زاوية الحمام ووضعت أغراضي واتكأت عليها.
كان أحدهم مساعد أول في المخابرات الجوية من إدلب واسمه محمود الأحمد، والثاني عسكري منشق من بابا عمرو من حمص اسمه ياسر البقاعي، والثالث إبراهيم الأحمد من دوما، وأما الرابع فقد كان من الجورة من دير الزور واسمه أنور عبد القادر بربر.

حرصت في اليوم الأول على ألا أختلط بهم خاصة أن أي كلمة قد يلقيها المرء دون أن يلقي لها بالا قد تنقل إلى الضباط فيعاد التحقيق من البداية وتودي بالمرء بداهية، أما باقي الشباب فكانوا يتجاذبون أطراف الحديث، وقد لاحظ الشباب ذلك فقالوا: لماذا لا يشاركنا مأمون الحديث، فقلت: رأسي يؤلمني وأنا أرقي نفسي، فقالوا: فلان يجيد التدليك (المساج) يدلك لك رأسك؟ فقلت: لا داعي لذلك، أنا معتاد أن أرقي نفسي عندما أمرض.

في اليوم التالي حضر الطعام وكان خبز وبرغل وبيض وبندورة وبطاطا مسلوقة، فقسموا الطعام قسمين، وأعطونا نصف الطعام، فلم يعجبني ذلك، فقد كانت عادتنا أن نقسم الطعام إلى حصص بعددنا يقسمه ياسين من دوما ثم يأخذ كل واحد حصته ويكون القاسم آخر من يأخذ حصته.

ثم أخذ كل واحد من الثلاثة رغيفا وبعض البرغل وتركوا سائر الخبز والبندورة والبيض والبطاطا فلم يأخذوا منها شيئا، وكان أنور نائما ولم يكن يصلي، فلما رأيت ذلك تكلمت مع الشباب الذين معي، فقلت: لماذا لم يوزعوا الطعام بالتساوي؟ قلبي يشعرني أن الشياطين والعفاريت تلعب في وجه أنور، فقالوا لي: أنت تظل تسيء الظن دائما، لعلهم تركوا باقي الطعام للعشاء أو السحور، فقلت: حسن الظن جيد عندما يكون في مكانه وهذا موجود عندي ومع ذلك سننتظر حتى المساء.
أما نحن فقد قسمنا الطعام على عادتنا وأخذ كل واحد حصته وآخرنا ياسين.

ظل أنور نائما حتى المساء، فلما استيقظ قال للمساعد: أحضر لي الطعام، فأحضره ففتح الكيس وأكل كل شيء وجده الأرغفة المتبقية والبيض والبطاطا والبندورة، فغضبت وقلت للشباب: أرأيتم حسن ظنكم؟ فقالوا: نحن ليس لنا علاقة ولا نريد مشاكل، المهم أننا نأخذ حقنا كاملا، فقلت: إن لم نرفع الظلم عن هؤلاء فسنظلم مثلهم، فقالوا: هذا لا يمكن أن يكون، فقلت: هو ما أقول لكم.

في اليوم الذي يليه نادى أنور الشاب الحمصي، وقال له: أريد الاغتسال نظّف لي الحمام، فقام وغسل أرضها ثم نشفها وأعدها تماما، ثم أخرج له ثيابا ووقف على باب الحمام ممسكا بها، وقام أنور ودخل الحمام ثم نادى المساعد لينظف له ظهره وهو عار تماما لم يشعر بأدنى حياء، فدخل ونظف له ظهره، فأردت أن أتدخل فمنعني الشباب، ثم خرج وهو يلبس سراويل قصيرة، فقلت له: استر عورتك ثم اخرج، فنادى الشاب الحمصي الذي نظف الحمام، وقال: لماذا لم تنظف الحمام جيدا؟ فقال: والله نظفتها، فقال: كان يوجد بعض الأوساخ في الأرض، ثم أخرج سلكا قد نظم فيه عجم الزيتون، وقال له: تعال واكشف عن ظهرك، فكشف عن ظهره

فأخذ يجلده، ولعجم الزيتون حد كالنصل، فأخذت الدماء تسيل من ظهره، وظل يضربه ثم بدت عظام عموده الفقري، وأثناء ذلك يسبه أشنع السب وأقبحه، لم يترك أما ولا أختا ولا زوجة إلا شتمها، فأحسست أن عقلي قد طار، فقلت: الله أكبر عليك، ثم انطلقت نحوه أضربه، فصاح بالثلاثة الذين معهم بمن فيهم الشاب الذي قمت لأنصره فقاموا إليّ يضربونني، وأما الشباب الذين معي فقد صاروا يحجزون بيننا.

والعادة أن السجن يسوده الهدوء التام، فلما أخذنا نتقاتل جاء السجان وأخذ يسبنا، وقال: ماذا عندك ولاك؟ فقال الخبيث أنور: هذا الحموي يريد أخذ الطعام، فقال: تتقاتلون من أجل الطعام؟ أخرج الطعام، أنتم اليوم محرومون من الطعام.

وكان هذا المجرم لقذارته يدعو في الليل الشباب الذين معه ويطلب منهم أن يحدثوه كيف يجامعون زوجاتهم.

شعرت بعد هذا الموقف أني قد خُذلت، خذلني الشباب الذين معي والمظلومون الذين قمت لأجلهم، بل إنهم أعانوا جلادهم عليّ، فضاقت بي الدنيا، فأقبلت أصلي وأدعو الله بحرقة شديدة وألم، وأسأله أن يرزقني رفع الظلم عن هؤلاء المظلومين، فدعوت ودعوت.

وبينما أنا أصلي، قال أنور للشباب الذين معي محاولا جرهم إلى صفه أو تحييدهم على الأقل: يا شباب أنتم تأخذون من الطعام ما شئتم، المشكلة بيني وبين مأمون فقط، إما أن أذبحه وإما أن يذبحني، فقلت له: فشرت يا خنزير الموت خير من أن يتحكم فينا مثلك، وتطور الأمر بيننا إلى التضارب بالأيدي، فجاء الضابط ومعه رقيب ومساعد، ففتح الباب، والمعتاد أنه بمجرد فتح الباب الجميع يركض إلى الحمام ويقف ووجهه إلى الحائط وتُعصب الأعين، ففعلنا ذلك، وكان أنور عاري الصدر فسحبه السجان وطفق يضربه، فأخذ يصيح بتمثيل بارع: يا سيدي أنا معكم، فتركه وأعاده، ثم سحبني وانهال عليّ ضربا كثيرا جدا، فلما انتهى تلمست كلمات

تؤثر فيه، فقلت له: سيدي ممكن كلمتين؟ فقال: احك ولاك، فقلت له: يا سيدي نحن أولاد الوطن وأمنا سورية ونحن أخطأنا فأحضرنا هنا لننال جزاءنا ونستحق ذلك، والأم إذا أخطأ أولادها ضربتهم ولكن بحنان، فقال: وبعد؟ فقلت: أنتم أساس العدل ويجري في المنفردة أمر لا يرضيكم، ثم حدثتهم عن طغيان أنور، وقلت له: إن شئتم فاكشفوا عن ظهور الشباب وأنتم لا ترضون بهذا، فقال: أعيدوه وأحضروا أنور، فأعادوني وأخذوه واستمروا يضربونه مدة ساعتين متواصلتين، ثم أخذوه إلى منفردة فيها ضابطان أحدهما عميد والآخر عقيد، ففتح الباب، وقال: هذا أحضرته لكم خادما ليغسل لكم ثيابكم ويغسل القصعة وإن شئتم فأطعموه أو دعوه، وأريد أن أسمع صوته وأنتم تضربونه مرة صباحا وأخرى مساء، مفهوم؟ فقالوا: نعم، فكنا بعد ذلك نسمع صوت صراخه، وسبحان الله الجزاء من جنس العمل والظلم والبغي عقوبتهما معجلة في الدنيا قبل الآخرة.

كان أنور يهدد الثلاثة الذين معه بقطعة زجاج قد أخفاها، فكان يقول لهم: سأخبر السجان أنكم تخططون لاستعصاء.

أما الثلاثة الذين كانوا خانعين لأنور فجاؤوا إلي يقبلون رأسي ويريدون تقبيل يدي ويعتذرون إليّ بالضعف، فقلت لهم: أي ضعف أنتم ثلاثة وهو واحد لو شئتم لقطعتموه، ثم دعكم من كل هذا، كيف يحدثه أحدكم كيف يأتي زوجته، ألا يوجد عندكم شرف؟ فقالوا: ما شئت إن أحببت فخذ حصتنا من الطعام، فقلت: أعوذ بالله تخلصنا من ظلم لنحل محله مثله، الطعام يقسمه ياسين بالسوية وآخر من يأخذ حصته أنا وياسين.

المشكلة أن هؤلاء الشباب قد ألفوا حياة الذل والعبودية واعتادوها، لذلك فهم من يصنع الطاغوت.

صار ياسين يوزع الطعام بهذه الطريقة، وحمدت الله أن جعلني سببا في الخلاص من ذاك الظالم، وبقينا عشرة أيام متواصلة نسمع صراخه، والضابطان يضربانه، وكنت أعلم أنه سينتقم ولن تمر الأمور بهذه السهولة.

ثم أخذ أنور ينادي: يا سيدي يوجد موضوع مهم أريد أن أخبر به ضابط الأمن، فجاء السجان فقال: ماذا تريد؟ فقال: هناك موضوع خطير أريد ضابط الأمن، فقال: ما هو؟ فقال: لا أقدر أن أخبر به إلا ضابط الأمن، فلم يلتفت إلى كلامه، واستمر على ذلك أسبوعا والسجان لا يبالي به وأحيانا يسبه وقد يضربه.

ثم نزل الضابط مرة ومعه المفاتيح وهي لا تكون إلا معه، فلما سمع أنور صوت المفاتيح أخذ يصيح، فقال المساعد: ما بك؟ فقال: أريد ضابط الأمن، فأخذوه إلى ضابط الأمن، وعلمت أن كارثة على وشك الوقوع.

فقلت للشباب الذين معي: أيا كان التقرير الذي سيرفعه فينا فأنا سأتحمل المسؤولية كاملة، فأنا خصمه وهو عدوي، ولأن أقتل أنا خير من أن نقتل جميعا، فأخذ الإخوة يودعونني ويبكون، واستمر أنور ساعتين عند الضابط، ثم سمعنا صوت المفاتيح، فحضنني الشباب الستة ولا يشكون أن الكارثة قد اقتربت، وبلغت القلوب الحناجر ولجأت إلى الله أتضرع إليه وأسأله الفرج.

ففتحوا المنفردة التي فيها أنور وضربوه ست جلدات وأدخلوه، وقال السجان: لا أريد أن أسمع صوتك، ولم يحصل لنا شيء، فكأني حييت بعد أن مت وغمرت قلبي سعادة عظيمة بالنجاة وفرحت فرحا جما كفرحي يوم خرجت من السجن، وأقبل الشباب يحمدون الله على سلامتي ويهنئونني، ثم نقلنا من هذه المنفردة إلى منفردة أخرى هي أفضل منها، وأُخذ الشابان اللذين معنا من دوما فلم نسمع لهم ذكرا بعد ذلك، ولا ندري ما الذي جرى لهم فبقينا خمسة.

عبرة في طاغية:

من المعتاد في صيدنايا أنه بين الفينة والأخرى يأتوننا بسجان جديد، فجاءنا مرة سجان من حماة من أسرة الشامي ينسب إلى السنة، ودين الله منه براء، فكان هذا المجرم أشد ظلما وفتكا من النصيريين، ومرتدو السنة عادة أسوأ من النصيريين؛ لأنهم يريدون إثبات ولاءهم وإخلاصهم على حساب دماء المسلمين وآلامهم.

دخل هذا السجان إلينا وفتح باب الزنزانة، وأخذ يسأل كل واحد منا من أين أنت؟ فلما جاء دوري قلت: من حماة، فقال: من حماة؟ أهلا بَلُّود، لك مني يوميا حفلة تعذيب، عند إدخال الطعام أناديك بلود فتخرج، فكان يضربني ضربا مبرحا بشكل يومي، واستمر على هذا شهرين متتابعين حتى تعبت جدا وفُتح جرحي القديم. وكان هذا السجان الخبيث يرمي الطعام إلينا رميا، فيقع على الأرض أو في حفرة الخلاء فنلتقطه ونأكله.

وعيّن هذا السجانُ المساعدَ رئيسا للمنفردة، وكان يطلب من رؤساء الغرف أن يخرجوا إليه من يتكلم أو يصلي أو يصدر صوتا، فمنهم من يقول: لا يوجد عندي أحد ويصبر على ما يناله من الضرب والأذى، ومنهم من يظلم الناس ويخرجهم ليعذبوا، فجاء هذا السجان مرة إلينا وقال للمساعد: من عندك يصدر صوتا، فأشار إلي وسحبني إليه، فأخذ يضربني ضربا عظميا ورفسني برجله على أذني رفسة لا زلت أراجع الطبيب بسببها إلى اليوم، وظللت ستة أشهر بعدها لا أسمع بها، فعدت إلى المنفردة وقد انتفخ وجهي وأصابه الورم الشديد لكثرة الضرب الذي نالني.

وطفق الشباب يلومون المساعد ويقولون: ألم تجد غير مأمون لتخرجه؟ فجاء إليّ، وقال: سامحني، فقلت: لا سامحك الله، أنا لم أذنب لتخرجني، ثم قاطعته أسبوعا لا أكلمه، حتى تدخل الشباب، وقالوا: سامحه لله، فسامحته.

كان هذا السجان يزداد فرعنة وطغيانا، فكان يدخل الطعام صباحا -والأكل ممنوع قبل إعطاء الأمر به- ثم لا يعطي الإذن إلا ليلا.

ثم كان يوم السبت فأدخل الطعام في السابعة صباحا تقريبا ولم يعط الإذن بالأكل، فلما صارت الساعة الحادية عشرة ليلا قال: الجميع إلى النوم -والنوم هناك كالموت ممنوع أن تأتي بأي حركة حتى الصباح حتى الذهاب إلى الخلاء ممنوع-، فنادى شاب من إحدى المنفردات: لم تعطنا الإذن بالأكل.

فقال: ممنوع أن يمد أحد يده إلى الطعام، وغدا عندما أدخل الطعام سأتفقد ذلك وإذا وجدت حبة زيتون ناقصة فأنتم تعلمون الجزاء، فلم نجرؤ أن نأكل شيئا.

وفي صباح يوم الأحد وزع الطعام وتفقد طعام يوم السبت فوجد ثلاثة من الشباب في إحدى المنفردات قد أكلوا، فأخرجهم وظل يضربهم حتى فارقوا الحياة، ولم يعط إذنا بالأكل، فلما صارت الساعة الحادية عشرة ليلا، قال: الجميع إلى النوم.

فنادى شاب: لم تعطنا الإذن بالطعام، فقال: غدا سأوزع الطعام وأتفقد طعام يومي السبت والأحد، وإذا وجدت نقصا فأنتم تعلمون الجزاء.
وفي صباح يوم الاثنين وزع الطعام ولم يجد أي نقص فيه ولم يعط إذنا بالأكل، كنا نشرب الماء فقط، حتى الماء كان يفتحها ساعتين ثم يقطعها سائر اليوم.

كان طعام يومي السبت والأحد قد فسد لارتفاع درجة الحرارة وقلة التهوية، فالخبز صار لونه أخضر لكثرة العفن والبيض صارت رائحته كريهة والبرغل كذلك.

فلما صارت الساعة الثانية عشرة ليلا، قال لنا: الجميع واقفا ثم الجميع منبطحا ثم مستلقيا، واستمر على هذا قرابة ثلاث ساعات، ثم تركنا، وبعد أقل من ساعة وقد سمعنا صوت الفجر من بعيد -وقل ما نسمعه- قال: ابدأ بالأكل، فأقبل الشباب على الطعام وبهم جوع شديد والطعام فاسد ومع ذلك أكلوه فلم يدعوا منه شيئا، وبعد نصف ساعة أخذت أعراض التسمم تظهر على الشباب، ثم منادي ينادي: سيدي عندي واحد مات، ثم آخر وآخر، حتى عددت ثمانية وثلاثين سجينا قد ماتوا في ذلك اليوم، فأحضر السجان النقالة بلا مبالاة شديدة، وأخذ يضع كل أربعة أو خمسة جثث عليها ثم ينقلهم، والجثث هياكل عظمية لا يزيد وزن الشخص عن أربعين كيلو غرام.

وكان في السجن سجانان أحدهما نصيري من اللاذقية والآخر ينسب إلى السنة من الوعر، وكانا متصاحبين جدا ويكرهان السجان الحموي جدا، وهما بكل حال أقل

شـرا منـه، وكلاهمـا برتبـة رقيـب أول، فكتبـا فيـه تقريـرا إلـى مفـرزة الأمـن العسـكري وهـي لا تتبـع إلـى إدارة السـجن وإنمـا تتبـع للمخابـرات العسـكرية مباشـرة، وقـد ذكـرا في التقريـر عكـس مـا كان يقـوم بـه، فذكـرا: أنـه رحيـم بالسـجناء وينقـل لهـم أخبـار المعـارك ويخطـط لتهريبهـم وخطـف الضبـاط.

وكنـا نعلـم أن كل مـن يؤخـذ يـوم الثلاثـاء بعـد الظهـر فإنمـا يؤخـذ للإعـدام، فلمـا كان بعـد أسـبوع بالضبـط مـن وفـاة السـجناء بالتسـمم وبعـد الظهـر سـمعنا صـوت زبانيـة المخابـرات العسـكرية وهـم قادمـون، فظننـا أنهـم يريـدون أخـذ بعـض الشـباب ليشـرفوا على عمليـة إعدامهـم؛ لأنهـم المسـؤولون عـن ذلـك.

كانـوا قرابـة عشـرين شـخصا نزلـوا، فلـم يتجهـوا صـوب المنفـردات وإنمـا صـوب غرفـة السـجان، وكان جالسـا يشـرب المتـة ويدخـن ويلعـب بجوالـه، فاتجهـوا إليـه ووضعـوا في رأسـه كيسـا أسـود وقيـدوا يديـه إلـى الخلـف، مـع ضـرب شـديد وشـتائم، ثـم أخـذوه وانصرفـوا.

وتولـى الأمـر مـن بعـده السـجانان اللـذان كتبـا فيـه التقريـر، فكانـا يوزعـان الطعـام الـذي يأتـي كامـلا، بخـلاف ذاك السـجان فقـد كان يـوزع عشـره ويرمـي سـائره في الزبالـة، ويوزعانـه سـاخنا، ويعطيـان الإذن بـالأكل بعـد خمـس دقائـق، فصرنـا نشـبع بعـد طـول مسـغبة، حتـى صـارت حصـة الفـرد رغيفيـن كامليـن مـن الخبـز بعـد أن كانـت ربـع أو نصـف رغيـف.

وكان السـجان الجديـد يقـول لنـا: لا تزعجنـي كـي لا أزعجـك، لا أريـد صوتـا، فقـد يمـر يومان وثلاثـة دون أن يضـرب أحدا.

اسـتمر الحـال على ذلـك قرابـة ثلاثـة أشـهر، ثـم فوجئنـا بالسـجان القديـم يحضـر إلينـا سـجينا ويرمـى في المنفـردة القريبـة منـا، وكنـت أعلـم أوقـات قـدوم السـجانين، فتحينـت غيابهـم ثـم تسـلقت وناديتـه: بلـود بلـود كمـا كان ينادينـي، فقـال: مـن أجـل

الله سامحني، فقلت: لا سامحك الله كم قتلت من الشباب، هل نفعك بشار الآن؟ فجعل يبكي، فقلت: لن ينفعك الندم الآن.

أما السجانان اللاذقاني والحمصي فقد تفرغا له فصارا يضربانه صباحا ومساء، فيقول: أنا كنت زميلكم، فلا يزدادان إلا شدة وقترا عليه في الطعام جدا، حتى كان نصيبه ملعقة من البرغل أو حبة زيتون، وظل ثلاثة أشهر وهو يعاني الشدائد، ثم هلك من الجوع والتعذيب فلا رحمه الله.

كان هلاكه عبرة، فقد سلط الله عليه من يعذبه كما كان يعذب السجناء، ثم كان هلاكه جوعا وتعذيبا كما قتل السجناء بذلك، فتبا لمن لا يعتبر ولا يتعظ، وويل لمن يظن أن الله يغفل عن ظلمه وإجرامه.

كان عدد السجناء في المنفردات لما دخلنا أربعمائة سجين تقريبا، وفي 13 / 6 / 2013م قرروا نقل السجناء الذين في المنفردات إلى المهاجع الجماعية في الطابق الأول، فكان عدد من نقل مائة وثلاثين سجينا، أما من تبقى فقد كانوا ماتوا جوعا وتعذيبا، وأثناء عملية النقل كانت العصي والأكبال والكهرباء تنهال علينا من كل جانب، حتى إن بعض السجناء مات قبل وصوله إلى المهاجع.

كانت مدة مكوثي في المنفردات سنة وشهرين، ثم وضعنا في مهجع وكان عددنا عشرين سجينا، ولم تمض إلا بضعة أيام حتى مات ثمانية منا وبقينا اثني عشر، فنقلونا إلى مهجع آخر فيها عشرون سجينا، فصار العدد الكامل اثنين وثلاثين سجينا، وكان نصف السجناء في المهجع الجديد مصابين بالجرب، وبعضهم حالته شديدة، حتى إن جلده غدا كحراشف السمكة، وقد سرت العدوى إلى باقي السجناء فأصيب الجميع بالجرب.

الفخ:

في هذا المهجع تعرفت إلى شباب من حلب قد اعتقلوا عام 2012 وكلهم مثقفون، أقلهم يعمل مدرسا للغة الإنكليزية ويدعى زهير الأصفري، وفيهم المحامي والطبيب والمهندس، أما رأس الدعوى فيدعى محمد علي الدرعوزي وهو شاب من حلب من منطقة حلب الجديدة وكان في السويد منذ عام 2000م وقد اكتسب الجنسية السويدية وتزوج بمرأة سويدية، وكان غنيا جدا فلديه العديد من المعامل ولديه ناديا لكمال أجسام وهو لاعب حديد وجسمه قوي وعضلاته بارزة.

كان هذ الرجل في بداية الثورة يخرج بصوته على الإعلام، وقد اتخذ لنفسه لقب صقر حلب، وكانت له مشاركة في التنسيقيات، إلى أن تعرف عبر النت على شخص زعم أن لديه مجموعات تقوم بضرب النظام، فقال له الدرعوزي: أنا مستعد للدعم عندما أرى عملا، فكان هذا المجهول يقول له: غدا سنضرب حاجز على دوار الموت وبالفعل يضرب الحاجز ويقتل من عناصر النظام، فيحول الدرعوزي له مبلغا من المال خمسة أو عشرة آلاف دولار، ثم يقول: غدا سنضرب الباب الرئيسي لأمن الدولة، وبالفعل يضرب ويسقط قتلى من النظام ويكون ذلك مصورا بمقطع مرئي، ويحول الدرعوزي مبلغا من المال، واستمر الحال على ذلك ستة أشهر، ثم قال قائد المجموعات المزعوم للدرعوزي: لماذا لا تنزل إلى البلد فنحن بحاجتك والجهاد والدين والأعراض وما إلى ذلك من الكلام.. ثم قال: ونحن لدينا ضابط منشق في المطار ولكنا قد تركناه على رأس عمله ليسهل لنا الأمور، وهذا الضابط ييسر لك أمورك ويرتب كل شيء لك، فوافق الدرعوزي على القدوم إلى سوريا، فقال له: ولكن لا تخبر أهلك حتى لا ينشغلوا بك فأنت قد غادرتهم منذ اثني عشر عاما، فقال: لن أخبر أحدا، ثم وصله جواز سفر مدفوع التكلفة وحدد موعد سفره بعد عشرة أيام، فأخذ معه حقيبة واحدة وجهاز حاسوب محمول فقط، وفي المطار وجد شخصا ينتظره، فأخذه ومضى به إلى أحد الفنادق، فجلس هناك عشرين يوما، وبين الفينة والأخرى يحول له أموالا، ثم قال له المجهول: ألا يوجد لك أشخاص تعرفهم يمكن أن ينضموا إلينا، فعرفه على أحد عشر شخصا كلهم من علية وأعيان المجتمع، فأخذ المجهول يتواصل معهم، ثم اتصل به المجهول، وقال: المخابرات تقوم بجولة شهرية على

الفنادق، وبقاؤك هنا خطر عليك؛ لذلك سيأتي شخص يصحبك إلى بيت تجلس فيه ولا تخرج منه أبدا، وكل ما تحتاج إليه سيحضره لك الشخص المرافق، وبالفعل انتقل إلى البيت الجديد وبعد عشرة أيام داهمت المخابرات البيت وقبض على الدرعوزي، واستمر المجهول يتصل بالأشخاص الذين عرفه إليهم حتى قبض عليهم جميعا، وهم لا يعرفون بعضهم، وتبين بعد ذلك أن المجهول هو رئيس أمن الدولة في حلب وهو برتبة عقيد، فلما قبض على المجموعة كاملة حملوا بطائرة ومعهم العقيد إلى دمشق؛ ليعود بعد ذلك مرفعا بقرار استثنائي من رئيس الجمهورية إلى رتبة عميد، وعذب أولئك الشباب عذابا شديدا في أمن الدولة، ثم نقلوا إلى الفرع 248 ومنه إلى صيدنايا، وكان من ضمنهم دكتور في الشريعة أصله من الرقة ولكنه مقيم في حلب واسمه نصر لجة، وفيهم تاجر من بنش اسمه عبد المنعم محمد السلات.

كان محمد علي الدرعوزي لاعب حديد وجسمه ضخم، فكان السجانون يحسدونه على ذلك، ولذلك يضربونه ضربا وحشيا زائدا عن باقي السجناء، حتى كسروا يديه من الأكتاف، وكان أشقر جميلا جدا إلا أن لونه صار بنيا يضرب إلى سواد وجلده كحراشف السمكة لشدة الجرب الذي أصابه، وقد تغير شكله جدا حتى إن صديقه البنشي لم يعرفه عندما رآه، فقد دخل علينا المهجع ونادى على صديقه البنشي، فالتفت فلم يعرف صاحب الصوت، فعل ذلك مرتين، فلما عرف مصدر الصوت قال له البنشي: من أين تعرفني؟ فقال: أنا محمد علي، فأخذ يعانقه ويبكي ويقول: ما الذي جرى لك ؟

وكان البنشي على شدة الجوع لا يأكل قطعة البطاطا، ويقول: لنتبرع بشيء لله، فكنا نعطي قطعتي وقطعته من البطاطا لمحمد علي، الذي لم يلبث إلا شهرا ونصف بعد قدومه إلى المهجع حتى مات، ومدة سجنه كاملة تزيد على العامين.

وفي هذا المهجع التقيت وتعرفت إلى الشيخ يوسف حاج أحمد وهو إمام جامع عربين الكبير، وهو والد لثماني بنات وصبي، كان يقول: تركتهم لرب كريم رحيم وهو لن ينساهم، وإن ماتوا جوعا في الدنيا فسنلتقي في الجنة إن شاء الله.

كان يحفظ كتاب الله ويحفظناه ويصبر على ذلك كثيرا ولا يشكو أبدا، سألته مرة: هل عندك مجال لتسمع لي سورة البقرة؟ فقال: إن لم يكن عندي الآن مجال فمتى؟ تعال، كان يترك كل شيء بيده ويستمع لي القرآن.

وهو شديد الحياء، يعتذر من الصغير والكبير يتعامل بلطف بالغ مع الجميع، ولم أر في حياتي رجلا مثله في الرقي والاحترام، كان يحمل همّ الأمة والدين بين جوانحه، حتى إنه يذهب إلى السجناء أصحاب المعاصي ويعرض عليهم التوبة وأن يحفظهم القرآن، وربما طرده بعضهم فلا يثنيه ذلك عن دعوته، ويقول: في سبيل الله نتحمل كل شيء، والواجب علينا العمل.

وقد حفظت على يديه اثني عشر جزءا من القرآن، وكنت أقبل يده لشدة ما أحترمه، وقد أصيب هذا الشيخ بمرض الجرب وبعض الالتهابات، ولما نقلت من صيدنايا لم أعد أعرف عنه شيئا.

عين السجانون علينا رئيس مهجع وهو أحد السجناء واسمه عبدو حاتم جراد، وهو من مشاع وادي الجوزة من مدينة حماة، وهذا الرجل خريج سجون وصاحب مشاكل، وكنت التقيت به أول دخولي إلى صيدنايا ثم افترقنا لمدة سنة وشهرين ثم التقيته هنا، وكان السجانون يطلبون من رئيس المهجع أن يخرج لهم بعض الأشخاص ليضربوهم، فبعضهم يصبر وبعضهم يظلم السجناء ويخرجهم ليضربوا. والسجانون مسجونون مثلنا، لا يسمح لهم بمغادرة السجن، وبعضهم له على هذه الحال سنة ونصف، وقد تأتي أحدهم زيارة من أهله لمدة نصف ساعة فقط، لذلك كانوا شديدي التسخط ويصبون جام غضبهم علينا في كل مناسبة تحدث.

فلما كان صباح عيد الأضحى من عام 2013م جاء السجان بالقيود، وطلب من رئيس المهجع أن يخرج له من يصدر صوتا أو يصلي، فقال: لا يوجد عندي أحد، فطلب منه السجان إخراج يديه، فقيدهما بقضبان الطاقة التي في باب المهجع، فلم يعد بإمكانه إدخالهما، وانهال عليهما ضربا بالقضيب الأخضر المحشو بخشب السنديان

حتى أنهكه، فقال: عندي عندي، ثم أخرج ستة سجناء، فظل السجان يضربهم حتى كسر عظام أصابعهم وصار لون الأصابع أسود أزرق، ثم قال لرئيس المهجع: من عندك؟ فقال: لا أحد، فضربه ثانية، ثم قال له: هكذا تخون أصحابك، وطلب من السجناء الذين ضربوا أن يقوموا فيضربونه، فقاموا وفعلوا ذلك إذ ليس لديهم خيار الرفض.

الحمام:

الحمام في صيدنايا لون من العذاب الشديد، كنا نود لو ألغي تماما وكان موعده كل خمسة عشر يوما، كانوا يعروننا تماما، ونخرج من المهجع بهذه الصورة إلى الحمام مع سياط تهوي على أجسادنا من كل جانب، وقد قتل بعض السجناء أثناء خروجهم إلى الحمام، ثم ندخل تحت مشن الماء فإما أن تكون الماء حارة جدا تكوي الجلد أو باردة جدا لا تطاق.

قبل أسبوع من انتقالي من صيدنايا زاد الحال سوءا فقد كان الموت يلتهم السجناء بشراسة كبيرة، وقد أنهكت قواي وأحسست أني صرت على شفير وادي الموت، وليس بيني وبين الهوي إلا خطوة واحدة.

حصار صيدنايا:

في نهاية عام 2012 ومطلع 2013 حاصر زهران علوش سجن صيدنايا، واستمر حصار جيش الإسلام للسجن ستة أشهر، وهو قلعة حصينة جدا وحوله عدد من القطع العسكرية.

سلط جيش الإسلام مدافعه على السجن وبدأ القصف، فلما سمعنا أصوات القصف ارتفعت معنوياتنا جدا وزاد إيماننا، ولم يكن عندنا مشكلة أن يهدم السجن فوق رؤوسنا ونموت جميعا.

وبسبب هذا الحصار زاد الشح في الطعام، حتى صارت حصة العشرة من الطعام توزع على مائة.

وكان السجانون وهم سكارى يتسلون بتعذيب السجناء فيخرجونهم ليلا ويصبون عليهم الماء ويعرونهم، فإذا سمعوا صوت القصف تغيرت معاملتهم كليا فيرجعون السجناء إلى غرفهم، فقد كانوا يخشون أن يسقط السجن في أيدي المجاهدين وينتقم السجناء منهم، على أنهم كانوا إذا قتل أحد من عناصر السجن بقصف المجاهدين نزلوا أحيانا وعذبونا عذابا مضاعفا، فلم يكن في أيديهم سوى الانتقام من السجناء العزل الذين لا حول لهم ولا قوة، وكنا نعلم حجم الخسائر بناء على شدة التعذيب، ومع ذلك كانت معنوياتنا عالية جدا أثناء التعذيب؛ لأننا نشعر أن خلفنا رجالا لم ينسونا ولم يتاجروا بدمائنا وتضحياتنا ويسعون لاستنقاذنا، وزاد عدد الموتى جدا من المرض والجوع، وكنا نسمع صوت التركس وهو يحفر مقابر جماعية في الجبل ليلقي فيها جثث من مات من السجناء، كنا اثنين وثلاثين سجينا في غرفة وبعد شهر لم يبق منا سوى اثني عشر، أما العشرون فقد قضوا نحبهم.

كان زهران رحمه الله يعرف طبيعة السجن وحصانته، وقد أرسل النظام رسالة إليه يقول فيها: إنه مستعد لهدم السجن وقتل جميع من فيه ولن يسمح له بالسيطرة عليه، ونظرا لذلك ولكثرة عدد الموتى نتيجة نقص الغذاء والمرض فقد قرر زهران رفع الحصار عن صيدنايا والتوجه إلى سجن عدرا، وبالفعل رفع الحصار بعد ستة أشهر.

الانتقال من صيدنايا إلى القابون:

في تاريخ 12 / 12 / 2013م نادى السجان اسمي مرتين، إلا أني لم أنتبه حتى نبهني رفاقي، وقالوا: ينادي اسمك، فقلت: حاضر سيدي، فقال: ضع كنزتك في رأسك واخرج، فخرجت، وتم تجميعنا في أحد المهاجع وقد بلغ عددنا خمسة وأربعين، ثم بصمنا على أماناتنا، ولم يكن لدي أي شيء سوى إخراج قيد أخرجوه لي وأنا في السجن وليس فيه صورتي، ثم أصعدنا السيارة يتنازعنا شعور فرح للخلاص من صيدنايا؛ إذ لا أسوأ منه، وشعور خوف لأن القادم مجهول، فنحن لا نعلم إلى أين نحن ذاهبون، وشعور حزن لمفارقتنا أناس أحببناهم وكنا نعمل سوية في حفظ القرآن والتعلم كخلية النحل.

مضت بنا السيارة إلى الشرطة العسكرية في القابون، وهناك تم توزيعنا على المهاجع، ووضعت مع ستة أو سبعة في غرفة.
كانت الحال مختلفة جذريا عن صيدنايا؛ إذ لا أسوأ من ذلك السجن اللعين، كان بإمكاننا أن نسير دون أن نضع العصائب على أعيننا، ونستطيع النظر إلى أوجه السجانين والشرطة، والغرفة التي وضعنا فيها تحتوي على نافذة في أعلاها تدخل منها الشمس، ونسمع زقزقة العصافير، والطعام كثير ونوعيته جيدة مقارنة بصيدنايا وكميته كثيرة، حتى إننا أكلنا الحلاوة، وشهوة السجين للحلاوة غريبة فعلا، وهنا اغتسلنا بعد أن تراكمت الأوساخ على أجسادنا.

كنا نسمع صوت القذائف وبعضها يصطدم بالسور بلا شك، ونسمع صوت العساكر وهم يتراكضون فرارا منها.

إلى البولوني في حمص:

مكثنا في الشرطة العسكرية الخميس والجمعة والسبت، ثم أعطونا أماناتنا وصعدنا إلى السيارة ليتم نقلنا إلى مكان آخر، ولكنهم أعادونا ثانية، ثم فعل الأمر نفسه يوم الأحد وعدنا، وأثناء تسليم الأمانات سمعت صوت السجان النصيري الذي كتب التقرير بالسجان الحموي وهو صوت لا يمكن للسجناء أن ينسوه، فنظرت إليه، فناداني وقال: أين كنت؟ فقلت: في صيدنايا، فقال: أتعرفني، فقلت: لا، ولو قلت نعم لقتلني، فقد كان السجانون يخشون الانتقام ولذلك لا يظهرون وجوههم أمامنا أبدا، فقال: ألم تسمع صوتي من قبل؟ فقلت: لا، فقال: ارجع، فرجعت.

وعلمنا لاحقا أن دورية يوم الأحد خرجت بمجموعة من السجناء فتمكن المجاهدون من ضربها وقتل عناصرها وتحرير السجناء، وفي يوم الاثنين صعدنا السيارة وانطلقت بنا وكان العناصر مستعدين للاشتباك فكلهم قد وضع الطلقة في بيت النار ويده على الزناد بل إن بعضهم صار يطلق النار في الطريق، وكنا نطمع أن يهاجم المجاهدون الدورية فيخلصوننا كما جرى في اليوم السابق، وعلمنا من خلال الطريق أن وجهتنا حمص، ولكن لم نعلم في أي فرع أو سجن أو محكمة سيضعوننا، ومنذ

أن اعتقلت إلى هذه اللحظة لا أعلم شيئا عما يجري خارجا، حتى إن السجناء الجدد كانوا يضعونهم في مهاجع غير مهاجعنا كي لا ينقلوا شيئا لنا، غير أننا كنا ندرك بعض الأمور من خلال سماع أصوات القصف وبعض الكلمات التي نسمعها من هنا وهناك، ثم وصلنا إلى الشرطة العسكرية في حمص (البولوني) فأدخلنا واستقبلنا كالعادة بحفلة تعذيب وتعرية كاملة من الثياب بحجة التفتيش.

كنا سبعة أشخاص، فترك السجانون جميع السجناء وتفرغوا لنا، وفيهم مساعد قذر جدا من وادي الذهب في حمص يدعى غسان، يتميز بطول شاربيه المقزز، فجاء يسألنا عن التهم الموجهة إلينا: فأحدنا يقول: مظاهرات، وآخر يقول تشابه أسماء، وكان يرى كثرة من يقتل من عناصر النظام فظن أنا نسخر منه، ولم يدر بخلده أننا في السجن منذ عام 2011م، فانهال علينا ضربا، واستمر التعذيب بشكل متواصل لمدة ساعتين إلا ربع، ثم وزعونا على المهاجع، فكنت ثالث ثلاثة في مهجع كبير وجدنا فيه مائة سجين، وبدخولنا صار العدد مائة وثلاثة.

كان بعضهم قد اعتقل منذ أسبوعين وبعضهم منذ شهر وأكثرهم من ستة أشهر، فسألونا: متى اعتقلتم؟ فضحكت، وقلت: من أقل من ثلاثة سنين، فصدم السجناء لما سمعوا ذلك، فقالوا لنا: أين سيأخذونكم؟ فقلت: لا أدري.

كان يوجد هنا لجنة رباعية أمنية مشتركة تحقق مع السجناء يترأسها المخابرات الجوية وتضم الأمن السياسي والعسكري والجنائي والمخابرات الجوية وأمن الدولة، كنا نسمع أصوات السجناء وهم يعذبون فيصرخون، والضرب على شدته لا يمكن أن يقارن بالتعذيب الذي يجري في صيدنايا.

كان معي طبيب أسنان من اللاذقية اسمه عبد الرحمن وهو من أسرة مرموقة معروفة في اللاذقية، وقد درس في روسيا، وكان معه ثمانية وثلاثون ألف ليرة سورية، فقال لنا السجناء: يوجد ندوة هنا وبعد قليل يأتي السجان ومعه ورقة وقلم ويسجل الأشياء التي يرغب السجناء بشرائها.

فلما حضر طلب الدكتور عشر كراتين من نوع معين من البسكويت وعشر أخرى من نوع آخر ومائتي ظرف شامبو ودواء غسيل وصابون، ولكنه فوجئ بعدُ بالأسعار التي كانت غالية جدا، فلم يبق من ماله سوى مبلغ قليل جدا، ولكن ليس باليد حيلة، وزعنا البسكويت على السجناء لكل عشرة كرتونة من كل نوع، ولكل سجين لوح صابون، وكذلك وزعنا ظروف الشامبو ودواء الغسيل، وتركنا لي وللدكتور كرتونة من كل نوع من البسكويت وشامبو ودواء غسيل، ورئيس المهجع رجل سيئ جدا، فطلب حصة خاصة به، فقلت له: اذهب كي لا أمسح بك المهجع، فقال: أنا رئيس الغرفة ولا يمكن أن تخاطبني هكذا، فقلت له: النعل الذي في الخلاء أنظف منك، ولا زال الكلام بيننا في تصعيد حتى قمت إليه وضربته، فنادى السجان وقال: هذا ضربني، فأخرجني السجان وضربني خمسة عشر كبلا، وهو لا شيء بالنسبة لما كنت ألقى في صيدنايا، بل كأن هذا دغدغة، فدخلت إلى المهجع وأنا أضحك، وقلت له: سأضربك وأمسح بك الأرض إن ضربت أحدا أو شتمته، وليكن في علمك أنا محكوم عليّ بالإعدام أو السجن المؤبد والأمور لا تفرق معي (مع أني لم أكن أعلم الحكم الذي صدر بحقي).

إلى السجن المركزي في حماة:

فلما بزغ الفجر صلينا، ثم قلت للدكتور: انتبه إلى الأغراض فأنا أريد أن أغتسل، ثم دحلت إلى الحمام، ومع أننا في الشتاء في كانون والماء بارد إلا أني كنت قد اعتدت على ذلك في صيدنايا، ظللت ساعتين في الحمام أنظف جسمي، كنت أطليه بالصابون وأتركه عشرة دقائق ثم أنزعه مع الجلد، فقد كان جسدي ممتلئا بالحبوب، فلما انتهيت كنت كمن انسلخ عن جلده، ثم وقفت على شباك في الحمام أراقب الشمس وهي تشرق وأمتع ناظري بمنظر الحقول الممتدة، ثم خرجت فصليت الضحى، مع أن الصلاة ممنوعة إلا أني توخيت بقعة لا تطالها أعين الزبانية، ثم أخذت قطعة من البسكويت فأكلتها، ولم ألبث إلا قليلا حتى سمعت السجان ينادي بعض الأسماء وكان من ضمنها اسمي واسم الدكتور وأسماء عدد من الشباب الذين أحضروا معي من القابون، فأخرجونا ووقفنا ووجوهنا باتجاه الحائط، ولم يضربنا أحد، فتجرأنا وسألنا السجان، فقلنا: أخبرنا فقط يا سيدي إلى أين سيأخذوننا؟

فقال: أنتم إلى سجن حماة المركزي، فلما طرق أسماعنا كلماته شعرت أننا في قبر وسنخرج منه، ثم ركبنا السيارة وكان طريق الرستن مقطوعا، فسارت بنا السيارة في طريق السلمية، واستمر الطريق ساعتين ونصف، وكنا نسمع في الطريق أصوات الرصاص حتى وصلنا إلى الشرطة العسكرية في حماة، وهناك وجدت المساعد نفسه الذي كان موجودا عندما اعتقلت وهو رجل جيد من ناحية التعامل مع السجناء فقد كان يمنع العساكر من ضربنا ويقول للسجناء: فرج الله عنكم وردكم إلى أهليكم، ولما رأى ما بنا من الإعياء قال للسجان: فتشهم من فوق الثياب، ثم قال: لا داعي لتفتيشهم أدخلهم، وقال لنا: من يريد أن يدخن، فقلنا: نحن جوعى، فأحضر خبزا وقدرا فيه أرز، واشترينا ملحا وعهدنا به بعيد، فأكلت على الغداء قرابة كيلو ملح، كنت أضع الملح على الخبز وآكله، وأكلنا كل ما في القدر.

فقال المساعد: لقد أوجعتم قلبي، أنتم إلى السجن المركزي ولن أدعكم تبيتون هنا، فاتصل بالسجن فجاءت دورية وأخذتنا إلى هناك.

لما وصلنا ذهبنا أولا إلى مكان يدعى القلم؛ حيث يسلم السجناء وأضابيرهم وأماناتهم، والشرطة هناك كالموظفين المدنيين، فلما جاء دور تسليمي قرأ رئيس القلم اسمي، فقال لي: من أين أنت؟ فقلت: من سوبين، فقال: فلان، ماذا يقربك؟ فقلت: ابن عمي -وكان سجينا منذ أربعة عشر عاما في السجن المركزي بسبب جريمة قتل على مبدأ الثأر وكنت وأنا أصغير أذهب مع أبي لزيارته-، فقال: هل يعلم أحد أنك هنا؟ فقلت: لا، أهلي يظنون أني قد قتلت، فأخبر المساعد ابن عمي، فجاء إلي وسلم عليّ ودفع إليّ ثمانية آلاف ليرة سورية.

ثم قال لنا رئيس القلم: هل تعلمون الأحكام الصادرة بحقكم؟ فقلنا: لا، فارتبك قليلا وأخذ ينظر إلينا تارة وإلى أوراق بيده تارة أخرى، فقلنا: أخبرنا، فقال: عبد الرحمن ﷺ عشرون عاما، وقال لآخر: ثمانية عشر عاما، فقال هذا الشخص: أنا ليس لي دخل وأخذ يبكي، فقال له: أنا لا أحكم عليك أنا أخبرك بحكم القاضي فهو الذي حكم عليك، وتابع قراءة الأحكام: سبع سنوات، خمسة عشر عاما، ثم

قرأ اسمي وأخذ ينظر إليّ، فقلت: قل، ماذا؟ إعدام؟ فقال: تعرف حكمك؟ يوجد حكمين أحدهما إعدام والآخر مؤبد، فقلت: إن بقي بشار في سدة الحكم فأعدموني أو دعوني في السجن حينها، فقال: اسكت ولاك، فقلت: لن أسكت، فقال: على أي حال الحكم النهائي هو السجن المؤبد.

والسجن مقسم إلى مهاجع بحسب الجرائم، فجاء ابن عمي وهو مستلم مغسلة السجن، فسلم على الشرطة، وقال لهم: أريد أخذه معي قليلا، فسمحوا له بذلك، فمضى بي إلى الحمام، وقد أعد لي ماء ساخنا وأخرج لي ملابس جديدة -وأنا لا أزال في الملابس نفسها منذ سنتين-، أمسكت الملابس الجديدة أشمها ولا تسمح نفسي بارتدائها، فقال لي: البس فدى لحذائك، وأعطاني نعلا جديدا، فأخذت أسأل ابن عمي عن الأخبار، فقال: جيش النظام دخل إلى القرية وارتكب فيها مجزرة، قتل خالك وأهل بيته، فقلت: فلان؟ فقال: قتل، فذكرت آخر، فقال: قتل، وجعلت كلما أذكر اسما يقول لي: قتل.

وبعد أن اغتسلت أعادني إلى مهجع الأمانات، وهذا المهجع يبيت السجين فيه ليلة ثم إما أن يحول إلى مكان آخر وإما أن يفرز إلى مهاجع السجن.

لم يكن معي شيء يثبت شخصيتي سوى إخراج قيد لا صورة لي فيه، فرفض المساعد الذي في السجن استلامي، فقلت له: وحّد الله كيف لا تستقبلني أتريد إعادتي إلى صيدنايا، فقال: نعيدك إلى الشرطة العسكرية حتى يخرجوا لك هوية شخصية، فعدت إلى الشرطة العسكرية وكنت ممتلئا رعبا خشية أن أُعاد إلى صيدنايا، فلما عدت وضعت في زنزانة، فطرقت الباب، وقلت للشرطي: أريد أن تمشي أموري، فقال: ننتظر حتى يأتي المصور ليصورك من أجل إخراج القيد، فقلت: كم تكلف الصورة دون أن ننتظر مجيء المصور؟ فقال: غالية، فدفعت إليه خمسمائة ليرة، فقال: الآن تمشي أمورك، ثم صورني بجواله وأرسل الصورة، وتم جلب إخراج قيد مرفقا بصورتي الشخصية، ثم نقلت إلى السجن المركزي ثانية، فأجلسني رئيس القلم -وهو من بيت المصري وقد انشق لاحقا عن النظام- وأحضر لي شايا،

وقال: الحمد لله على سلامتك، وفي الليل أخذني الشرطي إلى مهجع الأمانات ثم حولت إلى جناح خاص بسجناء صيدنايا، وفي الجناح شاب كنت قد عملت معه قبل الاعتقال في 2011 ولكن اتفقنا بأن نتظاهر أننا لا نعرف بعضنا، وهو في مهجع خاص لا يدخله سجين إلا بإذن السجناء، حتى لو أراد مدير السجن وضع سجين فيه فلا يمكن إلا برضاء السجناء، فطلبني هذا الشاب إلى هذا المهجع الخاص.

وبينما الشرطي يأخذني إلى هناك، قال لي: شغلتك كبيرة طلبت إلى هذا المهجع، ومدير السجن أوصى بوضعك فيه، فقلت: لا أعرف أحدا فيه.

فلما دخلت سلمت على السجناء الموجودين وأنا أظن نفسي أقدم سجين، فجهز الشباب لي عشاء، فالتفت أثناء ذلك إلى سجين، فقلت: منذ متى اعتقلت؟ فقال: من اثني عشر، فظننت أنها تعنى شهرا، فقلت: فقط؟ أنا منذ اثنين وثلاثين شهرا، فقال: منذ اثتني عشرة سنة منذ عام 2002م، وكنت قد وضعت اللقمة في فمي فغصصت، فالتفت إلى آخر، وسألته، فقال: منذ أربعة عشر عاما، فشعرت أني لا زلت تلميذا صغيرا بين يدي هؤلاء الرجال، ثم التفت إلى آخر وعمره أكثر من ستين سنة، وسألته، فقال: أين تريد هنا أم في العراق؟! فقلت: في العراق، فقال: ثمانية عشر عاما، فقلت: وهنا؟ فقال: ثلاثة عشر عاما، فجلست وكنت متكئا، وأحسست أني سأنفجر، فتظاهرت بأن خبلا أصاب عقلي، فقلت لشاب أخذ قطعة مرتديلا من العشاء: أنتم عملتم عشاء لي أو لكم، ثم قمت وناديت السجان، فجاء، فقلت له: بدي أمصع رقبتك (يعني أكسرها)، فاستغرب، وقال للسجناء: ما له؟ فقالوا: كأنه جُنّ، فنادى ابن عمي، فطلب من مدير السجن أن أنتقل إلى مهجعه حتى تتحسن حالي، ومهجع القتل عادة له ميزات ليست لغيره، فسمح بذلك مدير السجن، وعندما دخلت أخذت أسأل السجناء عن المدد التي قضوها هنا، فأحدهم يقول: عشر سنين، وآخر ثمانية، وثالث اثنا عشر عاما، فقلت عندئذ: أرجوكم لا يخبرني أحد بعد الآن بالمدة التي قضاها.

وفي الليل أتوا إلى المهجع بهاتف له حصالة يلقي فيها السجناء قطع النقود المعدنية ويتصلون بمن شاؤوا، فقال لي ابن عمي: ما رأيك أن نتصل بأهلك؟ فوافقت، وأخبرته أن أهلي يظنونني قد قتلت، وقد وصلتهم أخبار أني في صيدنايا، ثم أخبرهم ابن عمي أني سأحول إلى السجن المركزي فلم يصدقوا ذلك، فاتصل بأهلي وأعطاني السماعة، فسمعت صوت أخي عبد الهادي، فسلمت عليه وقلت: كيف حالك؟ فقال: من معي؟ فقلت: مأمون، فقال: لا نعرف أحدا بهذا الاسم -وظن أن المخابرات تنصب لهم كمينا بهذا الاتصال-، فقلت لابن عمي: يبدو أنك أخطأت في الرقم، فقال: لا، هذا هو الرقم، ثم أعاد الاتصال ثانية، فرد أخي، فقلت له: أنا مأمون، فقال: لا يوجد أحد بهذا الاسم، مأمون مات منذ مدة طويلة، فألقيت السماعة من يدي وأخذت أبكي، فأخذها ابن عمي وتكلم مع أخي وشرح له الأمر حتى صدق، ثم دفعها إليّ، فظللت إلى الساعة الثانية عشرة ليلا أتحدث مع أهلي، وقد وضع السجناء قربي كيسا مليئا بالعملات المعدنية كي لا ينقطع الخط.

ثم أخرج لي ابن عمي بطاقة زيارة ليتمكن أهلي من زيارتي، وكتب في هذه البطاقة معلومات عن السجين ومنها جرمه، فكان مكتوبا أن جرمي: القيامُ بأعمال إرهابية تفضي إلى موت إنسان، وتحقيرُ رئيس الدولة.

فلما جاء أهلي للزيارة سألهم الضابط: ما جرمه؟ فقالوا: لا نعلم، فأخذ يبحث بين البطاقات حتى وجد بطاقتي، فلما قرأ الجرم نظر إلى أهلي، وقال: لا تعلمون؟ هذا إرهابي جرمه القيام بأعمال إرهابية وتحقير رئيس الدولة، وتعنت حتى سمح لهم بالدخول، فلما دخلوا سلمت على والدتي وكانت تبكي وذكرت لي ما جرى، فغضبت وأخذت أسب رئيس الدولة، فأبصرني مدير السجن عبر الكاميرات، فأرسل إلي يسألني عن سبب غضبي، فأخبرته، وقلت: هذا جرمي وأنا محكوم بسببه فما ذنب أهلي؟ لماذا تعنت معهم وأزعجهم؟ فجاء مدير السجن ووبخ الضابط ومنع من التكلم مع أهالي السجناء، وقد أحضر لي أهلي نقودا وثيابا إذ هذا فقط ما يسمح بإحضاره إلى السجين.

مكثت عند ابن عمي في مهجعه عشرة أيام كنت آكل فيها كل ما أحببت وأشتهي، والسجناء لا يبخلون عليّ بشيء، وكنت أحب الفروج المشوي بالفرن كثيرا فأعدوا أفخاذ دجاج مشوي ومعها بطاطا، وكان عدد السجناء الذين يأكلون على سفرة ابن عمي خمسة، فكانت حصة كل سجين فخذا وحصتي فخذان، وكان أحد السجناء مدعوا إلى الطعام في سفرة أخرى فكانت حصته من نصيبي، فأكلت أكلا ذريعا ثلاثة أفخاذ وما في الصينية من البطاطا، فكانت نظرات السجناء تجتاحني استغرابا، وسألوني بعد أن فرغت: ألا زلت جائعا؟ فقلت: قليلا، ثم أعدوا الشاي فشربته وأكلت معه الزيت والزعتر، ولست أدري سر الشهوة العارمة للطعام التي تربعت على عرش معدتي، فقد كانت آكل في اليوم الواحد عشر وجبات، غير أني كنت نظمت طعامي كي لا تحدث كارثة، فقد مات معنا شاب قدم من صيدنايا نتيجة ذلك، كنت آكل سبع تمرات، وبعد نصف ساعة آكل مثلها، وبعد نصف ساعة أخرى آكل مثلها، ثم آكل تفاحة أو تفاحتين، ثم أتناول طعام الفطور، وقد تنفخت أجسادنا حتى غدت كالبالون واستمرت كذلك عشرين يوما قبل أن تعود إلى طبيعتها.

كما أحضر لي ابن عمي أدوية للالتهاب والجرب، وبقيت ستة أشهر لا ألبس الثوب إلا مرة واحدة ثم أرميه لما يعلق به من الجلد والقيح والصديد.

وبعد مضي الأيام العشرة عدت إلى الغرفة الخاصة في جناح سجناء صيدنايا، فسألوني: لماذا تظاهرت بالجنون؟ فقلت: شعرت أني إذا لم أفعل ذلك فسأجن فعلا.

وجناح سجناء صيدنايا ليس فيه أَسِرة أبدا خلافا لبقية المهاجع، وذلك أنهم يخشون من تمرد واستعصاء يقوم به السجناء، حتى المراوح لم تكن موجودة ولا يوجد سوى الإنارة، وقد أحضر لي ابن عمي كل ما يحتاجه السجين، وهذا من تعجيل ثواب المعروف عند الله، فقد كان والدي يزوره باستمرار كل شهر أو شهرين ويقدم له ما يقدر عليه من المساعدة، فكافأه الله بأن يساعد هذا السجين ابنه في حال هو فيها أحوج ما يكون فيها إلى مد يد العون له، وبعد ستة أشهر من دخولي هذا

السجن أطلق سراح ابن عمي وعفي له عن ربع المدة، فقد كان محكوما عشرين عاما، وفقدت بخروجه ركنا ركينا طالما استندت إليه.

تعرفت في هذا المهجع على أخوين قديمين من سجناء صيدنايا وهما أصحاب مبدأ وعقيدة؛ أحدهما من حماة وهو تابع لجند الشام التابع لتنظيم القاعدة، والآخر من حمص وهو مهندس عبقري ويتكلم ثلاث لغات عربي وإنكليزي وروسي، وقد دار بلدان العالم في رحلاته التجارية، وسبب القبض عليه وزجه في السجن أنه كان يشتري أجهزة متطورة للمشافي وغيرها ويبيعها للدولة السورية، وكان والد رامي مخلوف هو المسيطر على الاقتصاد السوري، فدخل المهندس الحمصي في مناقصة كان فيها والد رامي مخلوف ونافسه حتى رست المناقصة عليه، فجن جنون مخلوف وأمر باعتقاله، فاعتقل عام 2002 م وزج في أفرع المخابرات وعذب عذابا رهيبا، وكان عنده عامل نصيري فكتب فيه تقارير كاذبة، وتولى التحقيق معه علي مملوك، وقال له: احك، فقال: ماذا أحكي؟ فقال: أنت عندك حساب في البنك فيه ملايين الدولارات، فقال: إذا كان كذلك خذهم، وأعطاه الرقم السري، فأخذوه إلى لبنان فلم يجدوا في حسابه سوى مائة وخمسين ألف ليرة، ومع ذلك أمر مخلوف أن يبقى في السجن، فلفقوا له تهمة التجسس لإسرائيل اعتمادا على تقارير النصيري الذي تراجع عن تقاريره واعترف بالكذب، ولكنهم كانوا قد اعتمدوا أقواله، ولذلك اعتقلوه أيضا وصبوا عليه ألوان العذاب، حتى جن تماما، ثم حكموا عليه بالسجن لمدة عشرين عاما، وحكموا على المهندس الحمصي بالسجن المؤبد مدى الحياة، والذي حكم عليهم محكمة أمن الدولة.

وقد كانا قدوة بأفعالهم لا بأقوالهم، كنت أجلس معهما فأشعر أني في عصر السلف الصالح، عندما يفتح باب المهجع في التاسعة كنت أراهما يتسابقان لإخراج القمامة من المهجع، والذي سُبق كان يحزن لذلك، وكانا يتسابقان في الخدمة طلبا للأجر، فإذا دخل أحدهما الحمام ووجد أوانيا تحتاج تنظيفا نظفها دون أن يعرف أصحابها. ثم نخرج لممارسة الرياضة -من أحب- وهي لمدة ساعة ونصف، ثم نرجع فنغتسل ونفطر، لنشرع بعد ذلك في حلقة قرآن، ثم استراحة قبيل صلاة الظهر.

كنت جديدا على المهجع وخبرتي في الحياة قليلة؛ لذلك كان من السهل أن أنخدع ببعض أصحاب المظاهر الإسلامية مع خواء بواطنهم، ومما جرى معي في ذلك أنه كان في السجن شخص من مورك طويل اللحية قصير الثوب قد حفّ شاربيه، فقال لي: أهلا بالأخ العزيز في الله أبي المعتصم، ما رأيك أن نأكل في سفرة واحدة؟ فوافقت، ثم قال لي بعدُ: فلان فقير ما رأيك أن نشركه في سفرتنا وندفع نصف مني ونصف منك وهو يتولى الطبخ وتنظيف الأواني، فقلت: نشركه ويكون سعره بسعرنا ولا حاجة أن يحمل عبء الطبخ والتنظيف، ثم صار يقول: ما رأيك أن ندعو فلانا ليأكل معنا فهو أخ فاضل صاحب دين وعقيدة، فأوافق وكرر ذلك مرات عديدة، واستمرت الحال على ذلك عشرة أيام، وشعرت بعدها أن هذا الرجل ليس مستقيما، وأن ثمة شيء غير طبيعي، وصرت ألمح تغييرا في نظرة الشباب الجيدين لي، فقد كان بعض من يدعوهم إلى طعام متهمين باللواطة، ولم تكن النقود التي أدفعها بالذي يشغل بالي، ولكني أكره أن يستغفلني أحد لذلك، ثم اكتشفت أن الأشخاص الذين يدعوهم له معهم مصلحة دنيوية ولا علاقة للأمر بالدين.

فقلت له: لننه الحساب بيننا، فقال: لماذا؟ فقلت: لا شيء غير أني أريد آن آكل وحدي، فقدم لي الحساب فدفعته له ثم انفردت، وكان طعام السجن في ذلك اليوم برغل وحساء وكنت صائما، فخبأت صحنا لأفطر عليه، فجاء الأخوان الحموي والحمصي، وقالا: ما فطورك اليوم؟ فقلت: حساء، فقالا: لماذا تأكل وحدك، فقلت: هذا أفضل لي، فقالا: على أي حال أنت صائم ونحن صائمان وستفطر معنا، فقلت: لا، شكرا، أريد أن أفطر وحدي، فقالا: إذن تحضر معك طعامك ونحضر طعامنا ونأكل معا والطعام مع الجماعة مبارك، فقلت: إذا كان هكذا فنعم، ثم جئت فأفطرت معهم وشعرت بسعادة كبيرة، ثم سألاني: لماذا تركت الطعام مع ذلك الشخص؟ فقلت: لم أرتح له وشعرت أنه غير مستقيم، فضحكا، ثم قالا: من الآن ستكون في سفرتنا -مع أنهما لم يكونا يقبلان أن يشاركهما أحد في سفرتهما-، فوافقت على ذلك، وكنت أذهب فأحضر لوازم الطعام كوني أصغرهم، ويقوم الأخ الحمصي بالطبخ ثم أقوم بتنظيف الأواني وصارا يعلمانني الطبخ.

والحال في هذا السجن غريب جدا، فتجد فيه حلقات القرآن ودروس العلم والكتب الشرعية، كما تجد فيه الدخان والمخدرات وسبل الفساد، وكل سجين يسلك الطريق الذي يريد، كما كانت توجد جوالات ولكن بالرشوة.

كان المؤذن يؤذن في كل وقت صلاة، ويصلي من أراد من السجناء جماعة، وكان إحساسا غريبا أن أصلي لأول مرة في جماعة علنا، ويطلق من أحب لحيته، وتعاملنا الشرطة معاملة جيدة.

كنت والأخ الحموي تأتينا زيارات ويحضر لنا أهلونا أموالا، أما الحمصي فقد كان محروما من ذلك كون تلبيسة محاصرة، فقال لي الحموي: أخونا لا تأتيه زيارة ولا يصل إليه مال ولا نريد أن نحرجه ونشعره أننا ننفق عليه، لذلك سنعد علبة ونضع فيها ما يأتينا من مال أثناء الزيارة باستثناء المصروف الشخصي، ثم ننفق من العلبة علينا جميعا، فوافقت على ذلك وفرحت بهذا الأسلوب الجميل الذي يحفظ الأخ من الإحراج، وبعد ستة أشهر أخلي سبيل الأخ الحموي.

كانت أصبعي تؤلمني جدا في حال أتيت بأي حركة، فقد كان العظم فيها مفتتا وهي مخيطة فقط، وكنت ربما أمكث أسبوعا لا أقدر على الصلاة إلا قاعدا من شدة الألم، وطبيب السجن لا حل عنده سوى أن يقدم حبوب السيتامول أو الالتهاب، ويقول: هذا ما لدينا، وكان للمهندس الحمصي صديق خارج السجن وهو طبيب ومن أصدقاء طبيب السجن، فتكلم معه من أجلي، وطلب منه أن يساعدني، فاتصل هذا الرجل بطبيب السجن وكلمه فيّ، فأرسل طبيب السجن إليّ وتعامل معي بلطف شديد، وسألني: ماذا يحدث معك؟ فأخبرته، وقلت: أتيتك مرارا من قبل، فقال: تكرم عينك، ثم قام بتصوير إصبعي، وقال: لدينا حلان؛ إما أن أقطعها وأريحك منها وإما أن نشقها ونخرج منها العظام المفتتة ثم نضع مفصلا صناعيا ونخيطها وستقصر وتبقى صورة فقط لا عمل لها، فاخترت الحل الثاني، فأرسلني إلى المشفى الوطني في حماة، وقال: يجب أن تبقى في المستشفى أربعا وعشرين ساعة تحت المراقبة -وأنا معقد من المستشفيات وأبغضها جدا لما لقيت فيها من التعذيب

الوحشي عندما اعتقلت-، فقلت له: لا أريد أن أنام في المستشفى، فقال: لماذا؟ الأطباء هناك جيدون ومحترمون، فقلت: لا أريد ذلك أريد أن أخرج منها بمجرد انتهاء العملية، ثم وقعت على ورقة أن العملية على مسؤوليتي وأجريت العملية ثم أعدت إلى السجن وأنا تحت تأثير المخدر، فكنت أسب بشار والطواغيت، فلما وصلت إلى السجن لم يجرؤ مسؤول الدورية على إنزالي لاستمراري في الشتم، فنزل إلى ضابط الأمن وأخبره بالأمر، وقال: إذا سمعه رئيس السجن ستكون كارثة، فأنزلني ضابط الأمن ثم صب علي الماء، ودعا بعض السجناء الذين معي في المهجع، وقال لهم: أغلقوا فمه وخذوه وضعوه في المهجع ولا يكلمه أحد حتى يصحو، وكنت صائما وتابعت صيامي، ثم استيقظت وارتحت من العذاب الذي كنت ألاقيه من إصبعي.

مرت ثلاثة أشهر والإيمان قوي في القلوب، والسجناء الذين قدموا من صيدنايا يحافظون على صلاتهم وعلاقتهم بالله قوية، ثم بدأ التفلت رويدا رويدا، فعاد بعضهم إلى التدخين، وقصر آخرون في صلاة الجماعة وحضور حلقات القرآن، بل إن بعضهم ترك الصلاة، وبعضهم أخذ يتعاطى المخدرات من حب وحشيش، وانتشر سماع الأغاني والوشم على الأجساد ولبس السراويل القصيرة التي تظهر شيئا من العورة، مع أن هؤلاء أنفسهم كنت أراهم في صيدنايا في حالة ذكر وقراءة للقرآن وتضرع إلى الله حتى يخيل إليك أنك في قوم كالصحابة، كانت حالة تراجع واضحة وصعبة لم يعد ملتزما بصلاة الجماعة سوى عشرة سجناء، أزعجني الأمر جدا وكنت أبكي كثيرا، فكان المهندس الحمصي يقول لي: الأمر عادي هذه طبيعة البشر، كان معنا أناس في صيدنايا حفظوا كتاب الله، وأناس كانوا مجاهدين، فلما كان الاستعصاء في صيدنايا باعوا الإخوة وخانوهم، ثم قال لي: أنا في السجن منذ أربعة عشر عاما وقد عاشرت ما لا أحصي من الناس، ولم أخرج سوى بثلاثة إخوة، لا تلتفت إلى هذه الأمور وعليك أن تهتم بنفسك وتطورها، يجب ألا تضيع منك دقيقة فأنت لا تعلم ماذا ينتظرك؟ اشتر دفترا وتعال لأعلمك، فكان يعلمني فقه المعاملات والتجارة والاقتصاد الإسلامي، وكان كالبحر في هذا العلم، كنت أشعر أنه أب وأخ لي، فصرت أتعلم منه الكثير وأستفيد من خبرته في الحياة، وكان يعاملني كولده، وقال لي: الله لم يخترك شهيدا مع إخوانك ولكن قد يكون هناك أمر يهيئك له لتخدم أمتك فأعد نفسك، لذلك يجب أن تتعلم كل شيء، إن شئت علمتك اللغة الإنكليزية، فصرت

أتعلم ذلك منه أيضا، وبقيت معه نشترك في الطعام والشراب ومالنا واحد حتى عام 2016م. وبقي معي حتى أطلق سراحي عام 2018 وظل هو في السجن.

كان لي عم شبيح زارني مع الدي في إحدى المرات، فنصحته بأن يتقي الله ويترك هذا الأمر، فاحتج بأنه واسطة خير بين الطرفين وأن هناك أناسا يحتاجون لتسهيل أمورهم عند النظام، فقلت له: لست مستعدا أن أدخل النار لأجل أحد من الناس -وكان يعمل إعلاميا-، فقلت له: بإمكانك أن تعمل العمل ذاته مع المجاهدين، غير أنه رفض، فقد غلبه حب الأرض والتمسك بها، واحتد النقاش بيننا حتى انتهى إلى أن قلت له: هذا فراق بيني وبينك، فقال لي أبي: يا بني هذا أخي وليس لي غيره، فقلت: هذا دين هذا ولاء وبراء، ولو فعلتَ فعله لتبرأت منك -وكان صاحب دين، فسكت-.

أصيب والدي بمرض السرطان عام 2016 وأنا في السجن، غير أن أهلي أخفوا عني الخبر بداية، ولكني علمت بالأمر عن طريق سجين معنا وهو طبيب أسنان، وقد علم بذلك عبر أخيه الذي كان يعمل في مستشفى تشرين حيث يتردد الوالد للعلاج، ثم ساءت حالته وأخبر الطبيبُ أن أيامه باتت معدودة، فاتصل بي أخي وأخبرني، وكان مدير السجن أهون شرا من غيره بكثير، يتفهم الوضع ويقدر الظروف وهو من القنيطرة، فطلبت رؤيته وأطلعته على الأمر -وهو يعلم أنني لست بصاحب مشاكل-، وقلت له: أريد أن أخرج لأرى والدي فهو على شفير الموت، فقال: وكيف ستخرج؟ فقلت: أنت تقدر على ترتيب الأمر، سجلني مريضا وأرسلني في دورية إلى مشفى تشرين لأرى والدي هناك، فوافق على ذلك.

ثم اتصلت بأخي وأخبرته؛ وإذ به يبكي، فقلت: ما الأمر؟ فقال: توفي والدك، فقلت: لا تخرجوه حتى آتي، فقال: كيف ستأتي؟ فقلت: انتظر وحسب.
ثم مضيت مع الدورية إلى مستشفى الوطني، وهناك رأيته مسجى في المشفى، فودعته، ثم أعدت إلى السجن مجددا -والسجون المدنية مريحة مقارنة بالأفرع والسجون العسكرية-، وأقيم في السجن عزاء، فعزاني السجناء بوفاة والدي.

الفرج:

في يوم اثنين كنت صائما فطبخت للإخوة أرزا وبامية، فلما أذن المغرب أفطرنا، وقام أحد الإخوة بتنظيف الأواني، وبقيت قدر الأرز وفيها أرز علق في قعرها، فقال أحد الشباب: ضع فيه ماء لنقع الأرز الذي بداخلها وغدا ينظفها أبو المعتصم، فقلت: إن شاء الله سأخرج غدا وأترككم مع القدر، -ولم يكن لي علم بشيء-، فضحك أحد الشباب -وكان قد بقيت له أربعة أشهر ليخرج-، وقال: سنخرج ونتزوج ونرسل أولادنا ليزوروك في السجن، فقلت: لا أحد أكرم من الله، ثم أمضيت ليلتي ساهرا حتى إذا صليت الفجر نمت، فجاء بعض الشباب فأخذوا يوقظونني ويقولون: قم، نودي باسمك إخلاء سبيل -وهم كثيرا ما يفعلون هذا من باب المزاح-، فظننت أنهم يريدون إيقاظي لأقدم لهم خدمة ما، فقلت: دعوني وظهرا أصنع لكم ما تحبون، فعادوا إلى إيقاظي، وتكرر ذلك أربع أو خمس مرات، وأنا لا أشك قط أن هذا مزاح منهم، فقالوا: والله قد نودي باسمك لإخلاء سبيلك، فقلت لهم منزعجا: لئن لم يكن هذا حق فلن أكلمكم بعد اليوم، فقمت فتوضأت ولم يكن هناك وقت كاف لأصلي، ثم نزلت إلى قائد شرطة حماة ويدعى اللواء أشرف طه -وكنت كثير الخصام معه-، وكنت أعلم من عادتهم أنهم قد يقولون للشخص: جاء أمر بإخلاء سبيلك، ثم يأخذونه إلى حبل المشنقة فيعدمونه.

فذكر اللواء اسمي، وقال: جاء إخلاء سبيلك وأخيرا سنرتاح منك، فقلت له: جاء اسمي إلى الإعدام؟ لئن كان إلى الإعدام فأهلا وسهلا بلقاء الله وهي شهادة إن شاء الله، وإن كان إخلاء سبيل حقا فلله الحمد.

فقال: سيادة الرئيس أصدر عفوا عنكم.

فقلت: من يعفو عمن؟ هو يعفو عنا بعد كل ما فعل؟

وكان العفو الذي صدر قد شمل أربعين شخصا، فخرجت لأجد رتلا من السيارات الأمنية، وصعدنا إلى حافلة، فقال أحد الشباب: إلى أين يأخذوننا؟ وكان الخوف باديا عليه، فقلت له: قد وضعوا لنا عبوة متفجرة في الحافلة وما إن نركب حتى تنفجر، فقال قائد شرطة حماة: اصعد، اصعد، سارت بنا الحافلة إلى مبنى المحافظة في حماة؛

حيث المحافظ والنائب العام ورؤساء الأفرع الأمنية، فلما دخلنا سمعنا كلاما مكرورا ممجوجا عن الوطن وحب الوطن وأولاد الوطن وسيادة الرئيس والأم سورية التي ترأف بأولادها العاقين، ثم قالوا لنا: ستخرجون الآن، ثم أخذوا بتلاوة الأسماء، فمن كان معه بطاقة شخصية أخذها وبصم، وكان معي إخراج قيد، فلما انتهوا أخذونا من باب غير الباب الذي دخلنا منه والطريق مريب، فقال بعض الشباب: إلى أين يسيرون بنا؟ فقلت: سنرى الآن جنديا يحمل رشاش ب ك س يقوم بإفراغ طلقاته في صدورنا، غير أننا وجدنا أنفسنا في صالة كبيرة قد احتشد فيها أهالي السجناء، وكان من بينهم أخي، فصحبني وسار خلفنا رتل من الشبيحة من معارفنا من حماة إلى القرية وهم يطلقون النار في الهواء، وكان ذلك في 10 / 4 / 2018، وبعد خروجي بيومين طلبت إلى أفرع النظام فتخفيت وكنت أزور أسرتي متخفيا كلما سنحت لي الفرصة.

لما خرجت وجدت الوجوه كما هي، غير أن النفوس تغيرت وساد الفساد وقلة الدين والخلق، فلم يبق احترام لمسن أو كبير.

اتصلت ببعض معارفي في إحدى الفصائل لأعمل خلف خطوط العدو، وكان ذلك سهل جدا حينها فالشبيحة قد شعروا بالأمان ولذلك يتحركون بدون حماية واحتياطات أمنية، ومساء لا ترى على الأتستراد سوى سياراتهم وهم يزنون داخلها مع العاهرات، وكل ما أحتاجه دراجة نارية ومسدس وكاتم، وقد خرجت فقيرا لا أملك شيئا وأهلي لا يمكنونني من المال خشية هذا، غير أنهم قالوا: ما تحتاج إليه نحضره لك بأيدينا، فقال من اتصلت به: لا نريد الآن عملا خلف خطوط العدو، فاتصلت بأخ آخر من فصيل جند الرحمن وأخبرته بالأمر، فقال: لو اضطررت إلى الدين فسأوفر لك ما تريد، غير أنه استشهد بعد قرابة أسبوعين في معارك ريف حماة.

وعرض عليّ عمي الشبيح كل ما أحتاج إليه من مرافقة ومركوب وسائق لأكون معه، فرفضت ذلك.

ووجـدت أن البقـاء في مناطـق النظـام متعـذر، فالأخـلاق عدمـت فضـلا عـن الديـن، وانشـر الفسـاد والكفـر والفجـور بشـكل مريـع، وأنـا لا أسـتطيع أن أكبـح جمـاح لسـاني مهمـا حاولـت، وخفـت على نفسـي الفتنـة -عرضـت علـيّ إحـدى الفاجـرات نفسـها وأنـا في طريقـي إلـى الصـلاة في المسـجد-، فأخـذت قـرارا بالهجـرة إلـى المناطـق المحـررة، فاستشـرت بعـض الإخـوة، غيـر أن الطريـق لـم يكـن متوفـرا وزاد الأمـر سـوءا كونـي مطلوبـا للنظـام، فلـم يعـد أمامـي سـوى التهريـب وذلـك عـن طريـق شـبيحة مسـتعدون لفعـل أي شـيء مقابـل المـال.

جـاء الشـبيح إلـيّ بالسـيارة، فسـار بـي حتـى وصلنـا إلـى بيـت يجمعـون بـه المهرَّبيـن حتـى يصبـح العـدد جيـدا، -وكنـت قـد أخبـرت الأخ الـذي رتبـت عـن طريقـه أنـي لا أريـد الانتظـار-، وإذ ببعـض هـؤلاء قـد مضـت عليـه عشـرة أيـام أو أقـل أو أكثـر وهـو ينتظـر التهريـب، ولـم يطـل الانتظـار حتـى سـار بنـا الشـبيحة حتـى اقتربنـا مـن خـط الجبهـة ففكـوا ألغامـا بيـن المنطقتيـن وسـرنا حتـى وصلنـا قلعـة المضيـق في السـاعة الثانيـة عشـرة والنصـف بعـد منتصـف الليـل، وكنـا بدأنـا السـير بعـد العشـاء.

وفي الطريـق طلـب أحـد الشـبيحة 5000 مـن كل شـخص، وهـدد في حـال عـدم الدفـع بتسـليمنا إلـى النظـام، ومـن لـم يكـن معـه مـال دفـع جـوالا بـدل ذلـك، فقلـت لـه: لا مـال لـدي ولا جـوال، مـع أن الجـوال كان في جيبـي، وهددتـه بأنـي سأشـكوه إلـى معلمـه، فخـاف وأعـاد قسـما ممـا سـلب؛ أعـاد الجـوالات وقسـما مـن المـال.

في قلعـة المضيـق اسـتقبلنا شـاب مـن أحـرار الشـام كان معـي في السـجن سـابقا، فبـتُّ عنـده، ثـم انطلقـت إلـى كفـر سـجنة، ثـم ذكـر لـي بعـض الإخـوة أن هنـاك دورة طبيـة في كفـر نبـل فذهبـت وحضرتهـا وعملـت مجاهـداً في أرض الشـام في المجـال الطبـي، وذلـك مـن فضـل الله علـي، وأحمـد الله تعالـى على مـا مـنّ بـه علـي مـن الفـرج والإنقـاذ مـن سـجون الكفـرة المعتديـن وظلمهـم وظلامهـم، وأسـأل الله العظيـم رب العـرش العظيـم أن يفـرج عـن جميـع أسـرى وأسـيرات المسـلمين مـن جميـع سـجون الطواغيـت المجرميـن، وأن يفـرح قلـوب المؤمنيـن بالنصـر والتمكيـن للأمـة الإسـلامية.

الفهرس

المقدمة 1
المولد والنشأة 2
الدراسة 2
بداية الجهاد 3
دناءة رجل ومروءة امرأة 6
الجهاد المسلح 6
في الرستن 9
الانحياز من الرستن 10
في قلعة المضيق 12
استشهاد المجموعة والوقوع في الأسر 13
في مشفى الوعر العسكري 17
إلى البالوني 18
إلى الأمن العسكري في حماة 19
إلى القابون 20
محاولة عمل لقاء مرئي 23
إلى فرع الدراسات العام 23
إلى صيدنايا 24
إلى المحكمة الميدانية 29
التداوي بالرقية الشرعية 31
إلى المحكمة العسكرية في حمص 33
أصعب مرحلة طوال مدة السجن 34
حدوث انفراجة 36
صناعة الطاغية 38
عبرة في طاغية 42

الفخ 47
الحمام 50
الانتقال من صيدنايا إلى القابون 51
إلى البولوني في حمص 52
إلى السجن المركزي في حماة 54
الفرج 65